

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي



الرقم التسلسلي:

رقم التسجيل: 1435097013

1435097012

مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر تخصص: أدب عربي حديث و معاصر

بغنوان:

## صراع الذكورة والأنوثة في الرواية العربية

رواية "عزازيل ليوسف زيدان" أنموذجا

إعداد الطالبين:

1. محروق جمال

2. براهيم جابر

أمام لجنة المناقشة المكونة من السادة الأساتذة: بتاريخ : 2019/06/16

الأساتذة	الرتبة	الجامعة	الصفة
بوخالفة فتحي	أستاذ	جامعة المسيلة	رئيسا
ميداغين هشام	أستاذ محاضرة ب	جامعة المسيلة	مشرفا ومقررا
سعدون محمد	أستاذ محاضرة أ	جامعة المسيلة	ممتحنا

السنة الجامعية: 1439-1440 هـ / 2018-2019

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
مَدِينَةُ الْمَدِينَةِ  
مَدِينَةُ الْمَدِينَةِ



## اهداء

قال تعالى: { واخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّي

ارْحَمُهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا } سورة الاسراء، الآية 21.

إلى الشخص الذي أمامه و تعجز كل كلمات العالم أن تعبر

عن الحب والامتنان لها، إلى قري عيني ومن زينت حياتنا

بودها " الأم الحبيبة " .

إلى الذي ضحى بكل ما يملك من أجل أن يربينا ويجعل منا

رجالا دون أن يمل أو يكل، الأب الغالي، شكرا جزيلا.

إلى العائلة الكريمة.

إلى كل من وقف معنا في مشوار بحثنا.

إلى كل من مد لنا يد العون في إنجاز هذا العمل

من قريب أو من بعيد.

## شكر وتقدير

الحمد لله الذي أعاننا ووفقنا والصلاة والسلام على خير خلقه

وأفضل رسله محمد صلى الله عليه وسلم وبعد:

نتقدم بأسمى عبارات الشكر والتقدير:

إلى الأستاذ المشرف " هشام ميذاغين " على جهده ومساندته

لنا طيلة فترة البحث وما قدمه من نصائح وتوجيهات علمية قيمة.

الشكر الموصول إلى كل أساتذة قسم اللغة العربية وآدابها

كما نتقدم بخالص الشكر إلى كل من أسهم في إنجاز هذا العمل.

لكم منا خالص عبارات الشكر والاحترام.

ੴ ਸਤਿਗੁਰ ॥ ਸਤਿਗੁਰ ॥  
ਸਤਿਗੁਰ ॥ ਸਤਿਗੁਰ ॥  
ਸਤਿਗੁਰ ॥ ਸਤਿਗੁਰ ॥

يعد موضوع الصراع في الرواية العربية الحديثة والمعاصرة مركز استقطاب للعديد من الدراسات الأدبية والنقدية، فصار بذلك بوابة واسعة في مجال السرد والنقد حيث اختلفت الصراعات باختلاف الاسباب والبواعث، فمنها صراعات دينية و حضارية واخرى اجتماعية ويعد صراع " الذكورة والأنوثة " من اهم هذه الصراعات خاصة في السرد المعاصر وقد اثار هذا الصراع جدلا ونقاشا مما أدى إلى تضارب الآراء والأفكار، فهيج الأعلام في الساحة الأدبية وأسأل حبرا كثيرا عند الباحثين والدارسين.

وقد حاولنا في دراستنا هذه أن نسلط الضوء على طبيعة الصراع القائم بين الذكورة والأنوثة معتمدين على رواية " عزازيل " " ليوسف زيدان " كنموذج تطبيقي تتجلى فيه هذه الثنائية بشكل بارز.

ويمكن معالجة هذا الموضوع تحت إشكالية محددة تفرعت عنها التساؤلات التالية:

✓ ما هو مفهوم الذكورة والأنوثة ؟

✓ ما هي مظاهر صراع الذكورة والانوثة داخل الرواية العربية ؟

✓ كيف تجلى صراع الذكورة والأنوثة في رواية عزازيل ؟

أما عن أسباب اختيارنا لموضوع هذا البحث، فهو الرغبة في دراسة أحد الروايات العربية المعاصرة، ومن منثور احد المصطلحات النقدية الحديثة وهو صراع الذكورة والانوثة.

وقد اخترنا من بين الروايات العربية رواية " عزازيل " ليوسف زيدان لأنها رواية واضحة السمات كأنها تخدم موضوع " الذكورة والأنوثة ".

أما فيما يخص الدراسات السابقة، فنجد أن جل الدراسات في هذه الرواية قد تطرقت إلى مسار مغاير عكس الدراسة التي توجهنا إليها، وعلى سبيل المثال نجد:

• بنية الشخصية في رواية "عزازيل" ليوسف زيدان، من إعداد الطالبتين كباهم سميرة كيدي صباح.

• البنية الزمنية في رواية "عزازيل" ليوسف زيدان من إعداد الطالبة سميرة مجيدي.

وتجدر الإشارة إلى أننا استعنا بمجموعة من المصادر والمراجع نذكر على سبيل المثال، رواية "عزازيل" ليوسف زيدان، وجورج طرابيشي، شرق وغرب، رجولة وأنوثة ونزيهة ابو نضال تمرد الانثى في رواية المرأة العربية.

وقد بني بحثنا وفق الخطة التالية:

مقدمة: تضمنت اهم عناصرها .والفصل الاول حيث تناولنا فيه عنوان "الصراع الجنسي في الرواية العربية" وقد اشرفنا فيه الى: مفهوم الذكورة والانوثة اضافة الى مركزية الذكورة وتأسيس الرواية العربية، ودرسنا ايضا الرواية النسوية وظاهرة التمرد الانثوي، كما عالجتنا فيه ايضا مفهوم الرواية النسوية ونشاتها ،واهم الاعمال التي جسدت صراع الذكورة والانوثة .

أما الفصل الثاني فكان فصلا تطبيقيا تناولنا فيه مدخل حول أشكال الصراع وانواعه في الرواية، ثم انتقلنا إلى عنوان رئيسي سميناه ب: " بداية الرواية وتدشين الصراع " والذي احتوى على ثلاثة مباحث كل مبحث يندرج تحته ثلاثة مطالب وكل مطلب يعالج قضية معينة داخل الرواية.

وختمنا الدراسة بخاتمة شملت أهم النتائج المتوصل إليها، وفي الأخير قدمنا ملحق عرفنا فيه بالروائي " يوسف زيدان " وأهم أعماله وملخص حول الرواية، وبالمقابل اننا نسعى من خلال هذه الدراسة إلى مجموعة من الأهداف هي:

- تحديد مفهوم دقيق ومضبوط لمفهوم الذكورة والانوثة.
- محاولة التعرف على أهم الأعمال التي جسدت صراع الذكورة والانوثة.
- معرفة طبيعة العلاقة بين الرجل والمرأة خاصة في رواية عزازيل.

وقد اعتمدنا في دراستنا هذه على المنهج الوصفي التحليلي والمنهج النقدي في جمع المادة وترتيبها وتحليلها هو أحد المفاهيم المتبلورة في مرحلة ما بعد الحداثة وهو مصطلح الذكورة والانوثة وعلاقته بالجنس والظاهرة النسوية.

أما بالنسبة للصعوبات التي كانت عائقا في إكمال بحثنا هذا فهي: صعوبة التحليل إضافة إلى نقص الكتب التطبيقية النموذجية.

ولا يفوتنا في الأخير إلا أن نتقدم بالشكر الجزيل والعرفان للأستاذ المشرف هشام ميداغين والذي كلفناه عناء المرافقة والمراقبة المستمرة لإتمام هذا البحث من البداية إلى النهاية وذلك من خلال إرشاداته القيمة ونصائحه وتصويباته المستمرة، ومساعدته المتواصلة والجادة لإتمام هذا العمل المتواضع.

الفصل الأول  
٧٧ ٧ ٧٧ ٧

الصراع الجنسي

في الرواية العربية

## الفصل الأول: الصراع الجنسي في الرواية العربية

أولاً: مفهوم الذكورة والأنوثة

ثانياً: الرواية النسوية وظاهرة التمرد الأنثوي

ثالثاً: أهم الأعمال التي جسدت الصراع (الذكورة والأنوثة).

## أولاً: مفهوم الذكورة والأنوثة:

ينظر علم السيكولوجيا إلى مفهوم الذكورة والأنوثة على أنهما مفهومان شاملان لا يقتصران فقط على الفوارق البيولوجية والجنسية بل يتعديانها ليطلا على شيء المظاهر وأنماط الحياة وعلى جميع المستويات

وأثبتت الحقائق العلمية أن الإنسان ليس مزدوج الجنس بيولوجيا لكنه مزدوج الجنس أيضا من الناحية النفسية والوجدانية، وقد وصف ينومان ( 1954 ) نوعين من الشعور داخل الإنسان الشعور الأبوي والشعور الأموي (...). ولكل إنسان إمكانيتيه إحداها ذكرية والأخرى أنثوية، ويفصح كل جنس عن الإمكانية التي حددها له المجتمع، بينما تبقى الإمكانية الأخرى كامنة في نفسه ومعنى ذلك أن الرجال يظهرون صفاتهم الذكورية ويخفون صفاتهم الأنثوية وكذلك النساء يظهرن صفاتهن الأنثوية ويخفين صفاتهن الذكورية.<sup>1</sup>

للذكورة والأنوثة مبادئ عامة في كل شيء في الطاقة والتفكير والسلوك وحتى على مستوى المهن ولكن الرؤية التاريخية والثقافية هي التي عكست المسار وأعطت المركزية لرجل يقول رورتى " إن الذكورة وحش أكبر وأشرس من الوحوش الصغيرة الملتفة على بعضها والمتصارعة مع التقويض والدرائعية (PARGMATISM)، إن الطرح الذكوري هو دفاع قوم تربعوا على القمة منذ فجر التاريخ، ضد محاولات إسقاطهم إن ذلك الوحش متمرس جدا على التكيف، وأعتقد أنه سيبقى على وضعه في بيئة فلسفية ذات تمركز منطقي مثلما يبقى في بيئة فلسفية تناهض التركيز المنطقي"<sup>2</sup>. وانطلاقا من هذا يعرف " أرفو" في كتابه الحيوان الذكر والأنثى بقوله " يختلف الذكر في تعريفه على الأنثى بما له من ملكات خاصة، فتحت

<sup>1</sup> نوال السعداوي المرأة والجنس، دار ومطابع المستقبل، الإسكندرية مصر ط 4، 1990 ص 71.

<sup>2</sup> مجان الرويلي وسعد البازغي، دليل النقد لأدبي المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب ط2، 2000، ص 88.

يعنى بالذكر ذلك الذي ينسل في الآخر ونعنى بالأنثى تلك التي تتسل في داخل ذاتها، حيث يخرج النسل من باطنها وهو النسل الذي كان موجودا في الناس من قبل" <sup>1</sup>

إن الذكورة ليست امتيازاً والأنوثة ليست نقصاً ودرجة الإنسانية لا يحددها أي طرف من الجنسين والفروق البيولوجية والتشريحية بين الرجل والمرأة لا تبرر مطلقاً ما فرض على كيان المرأة من تبخيس، ولا تقدم أي سند طبيعي فعلى لما يلحق بها من غبن" <sup>2</sup>

إن مركز الرجل أو الذكر الفحل التي منحها إياه الثقافة والمجتمع والإيديولوجيا والتي دامت آلاف الفروق وما تزال إلى اليوم لا يمكن أبداً استبدال مركزية الأنثى بها، فحتى على مستوى اللغة اكتسب الرجل مكانة ليس للمرأة أن تضاهيه فيها، فهي في هذه اللغة فرع عن الرجل والأصل أن يكون الاسم الذي عليه مدار اللغة وقوامها مذكراً، جاء في شرح ابن عقيل " أصل الاسم أن يكون مذكراً والتأنيث فرع من التذكير وهذا يذكرنا بحواء المشتقة من أحد أضلاع آدم ولكون التذكير هو الأصل استعنى الاسم المذكر عن علامات تدل على التذكير ولكون التأنيث فرعاً من التذكير افترق إلى علامة تدل عليه وهي التاء والألف المقصورة... " <sup>3</sup> وفي ظل هذا التهميش الذي اقتصر في حق المرأة واعتبرها جزءاً ثانوي مادام الرجل استحوذ على اللغة واستلبها فإن العودة لا تكون إلا من استعادتها إذن فقط يجوز لنا أن نستبدل بمقولة لوجدانيين " أنا أفكر إذن أنا موجود " مقولة لصالح المرأة " اللغة مؤنثة إذن أنا موجودة "، ولكن على المرأة تفويض الهيمنة الذكورية التي تعنى التنميط الثقافي الذي يرتفع بالرجل الأب، من مرتبة الجنس الطبيعي كرجل إلى مرتبة الجنس الثقافي الذي يقسم العالم إلى قسمين الأب الخائر على ترعية مسبقة لكل الأفعال التي يقوم بها، والعالم المحيط به الذي تتحدد قيمته بمقدار موافقته لمنظور ذلك الأب وامتناله لرؤيته العامة في

<sup>1</sup> إمام عبد الفتاح إمام " أرسطو والمرأة " مكتبة مدلولي القاهرة مصر، ط 1، 1996، ص 49.

<sup>2</sup> جمانة طه المرأة العربية من منظور لدين والواقع دراسة المقارنة إتحاد الكتاب العرب دمشق سوريا، ط 4، ص 150.

<sup>3</sup> خديجة الصبار، المرأة بين المينولوجيا والحداثة إفريقيا الشرق، بيروت، لبنان د ط، 1999، ص 81.

العلاقات والأفكار والمواقف والوظائف والمهام الموكلة لرجل ركيزة لنظام الأبوي تقوم بالأساس على رؤية شبه مقدسة للفحولة، وهذه الفحولة تشكل ركيزة النظام الأبوي حيث تندمج الأبوية الذكورية كصفة مميزة لها وتتلازمان وتتعاقدان وتتواطأن، فتدعم كل منهما الأخرى وتساندها، وتسرعها، فتظهر الشخصية الأبوية الذكورية الحاملة لقيم المجتمع التقليدي المتمركز حول الذكورة ومنها ينبثق النظام الأبوي<sup>1</sup>

إن النظام الأبوي مثل السلطة العليا في الحكم التي تأتي سقوط هيمنتها على طبقاتها الضعيفة التي نتحكم فيها.

يرجع أغلبية الباحثين - خاصة في مجال على الاجتماع وعلم النفس - اختلاف مظاهر السلوك بين الذكر والأنثى إلى " تفاعل مجموعة من العوامل المعقدة والمتشابهة منها، التربية، التنشئة الوسط الاجتماعي التكوين البيولوجي السمات الوراثية نظام القيم والمعايير، والمعتقدات الأخلاقية والدينية فقط أثبت على التشريح أن هرمونات الذكورة والأنوثة موجودة في كل من الرجل والمرأة، ولكن نسبة الهرمون الأنثوي تزيد في المرأة ونسبة هرمون الذكورة تزيد في الرجل وهذه النسب تختلف باختلاف مراحل النمو وباختلاف الأفراد"<sup>2</sup> إن هذا الاختلاف البيولوجي الذي يتحكم في العوامل الاجتماعية والوراثية والأخلاقية في تحديد السلوكيات بين اذكر والأنثى فهذا الاختلاف الجنسي البيولوجي لا يعنى منذ البداية فرقا نوعيا في السلوك والتفكير واللغة.

فعندما نتحدث عن الإبداع فإننا نتحدث عن كلا الجنسين إلى الاندماج والوحدة ككتلة واحدة وهذا يضيء لنا أحد أهم رموز العقل الجماعي وهو " وحدة الثنائي " فإنذ فليس الرجل هو الإنسان وليس الذكورة مرادفة للإنسانية كما شاع منذ آلاف القرون وليس المرأة جنسا آخر

<sup>1</sup> عبد الله إبراهيم، الأبوية الذكورية والسرد التصيري تحليل التجربة السردية لنجيب محفوظ مجلة فصول الهيمنة المصرية العمة للكتاب ، العدد65، 2004، 2005، ص 278.

<sup>2</sup> فؤاد حيدر، المرأة في الإسلام وفي الفك الغربي دار الفكر العربي بيروت لبنان ط1، 1992، ص 65.

ونوعية أدنى من البشر، وأكثر إغراقاً في السلبية، إن الذكورة والأنوثة هما الجانبان الجوهريان للوجود البشري، لكل منهما خصائصه وسماته ودوره وتتكامل في سائر جوانب الحضارة الإنسانية، فهما جزءان كل واحد منهما مكمل للآخر يقول (سيمون دي بوفوار) أن المرأة لا تلد امرأة بل تصبح امرأة لأن المجتمع أعطاهما ذلك الدور " وهذه إشارة بالغة القيمة إلى دور المجتمع في تشكيل وضعية الأنثى والتفرقة بينها وبين الذكر، وتأكيد فعلي على أن الحتمية البيولوجية (ثم الحتمية الاجتماعية بشكل آخر) هي التي صاغت وضع المرأة وتبنته كجنس ثاني<sup>1</sup>

فالثقافة السائدة في المجتمع هي التي تكسر أجنحة المرأة وتجعلها مكبلة بالقيود لا تعرف الخلاص من أفكار مجتمعا.

### مركزية الذكورة وتأسيس الرواية العربية:

إن قوة النظام الذكوري أمرا يستغنى عن التبرير ذلك أن الرواية مركزية الذكورة تفرض نفسها كأنها محايدة وإنما ليست بحاجة إلى أن تعلن عن نفسها في خطب تهدف إلى شرعيتها، والنظام الاجتماعي يشتغل باعتباره آلة رمزية هائلة تصبو إلى المصادقة على الهيمنة الذكورية التي يتأسس عليها، وإن التقسيم الجنسي للعمل والتوزيع الصارم جدا لنشاطات الممنوحة لكل واحد من الجنس لمكانه وزمنه وأدواته، وإنما في بنية الفضاء مع التعارض من مكان التجمع أو السوق المخصصة للرجال أو المنزل المخصص للنساء.<sup>2</sup>

فالبرنامج نفسه هو الذي يبني الاختلاف بين الجنسين البيولوجيين وفق مبادئ رؤية أسطورية العالم المتجزرة في العلاقة الاعتبارية لهيمنة الرجال على المرأة فالرجولة بمظهرها تعتبر ماهية القوة فالسيطرة والتسليط والطبيعة نفسها ترفض الهيمنة الشرعية لمبدأ الذكورة،

<sup>1</sup> حقتاوي بعلي، مدخل في نظرية النقد الثقافي المقارن منشورات الاختلاف الجزائر ط1، 2007، ص 132.

<sup>2</sup> بيار بورديو الهيمنة الذكورية ت ر سلمان فعنرافي بيروت ط1، سنة 2009، ص 27.

ف نجد أن هذا الذكر دائما يتمتع بالسلطة والهيمنة، فيما تكون النساء غير مسموح لهن المشاركة في أي مناسبة.<sup>1</sup>

ومن المحتمل أن نعتبر المجتمع مثل كمان لتأمل يبلغ الأخ الذي يملك الكثير من مبررات احترامه في الحياة الخاصة ويفرض مكانة ذكرا متوحشا ذا صوت يزمجر، وقبضة قاسية والذي يرسم بالطبشور إرشادات على الأرض<sup>2</sup> يبقى هذا الذكر إذن ذا مكانة وهيمنة عكس المرأة.

ولعل هذا ما نلمسه في العديد من الأعمال الأدبية والفنية التي ترجع انطلاقتها الأولى إلى جنس الذكر، حيث حفلت أعمال كتاب عديون بذلك عكست أوضاعا، وصورت أحداثا كثير ولعب فيها الخيال دورا مهما بمستوى المرحلة الفنية.

كما نرى في بعض الأعمال للجاحظ مثل " كتاب الحيوان " و " البخلاء " ومقامات " الهمداني " والحريري التي حظت خطوط متقدمة في فن الرواية أو القصة لحدث أو أحداث، تقوم بالبطولة فيها شخصية خيالية ذات جذور في الواقع، مستهدفة جوانب تعليمية لغة وأسلوبا وإمتاعية وذلك بتصويرها أوضاع وحالات اجتماعية (استعراض) لغوي على مستوى المفردة والعبارة.

وفي الواقع إن نستطيع أن نقسم دراسة الرواية العربية إلى عدة مراحل فهي تبدأ أولا بمرحلة كتب الأخبار التي ظهرت في العصر الأموي واستثمرت إلى العصر العباسي... وهذه تدل على خصائص وتبنى ملامحها " وهب بن منبه " وعبيد بن شرية من خلال " ابن هاشم " وتأتي بعد ذلك مرحلة التأليف المعاصر في أواخر العصر الأموي وأوائل العصر العباسي في مثل " كليلة ودمنة " وسيرة " ابن إسحاق " التي يقدمها للأدب العربي ابن هشام " ثم

<sup>1</sup> بيار بورديو الهيمنة الذكورية ، ص 40.

<sup>2</sup> نفسه ، ص 17.

يظهر في القصص الشعبي المجتمع مع أمثال كتاب " ألف ليلة وليلة " ونلمح آخر الأمر صورة من الرواية العربية في سيرة عنتره.<sup>1</sup>

فالرواية حكاية من حيث كونها تميل إلى الواقع، وتتشابه مع الواقع المعيش وهي خطاب حيث يتطلب وجود راوي يروي الحكاية لقارئ يستقبلها.

يتفق جل الباحثين والدراسيين أن أول رواية عرفتها الساحة الأدبية هي رواية " زينب لحسين هيكل " التي تعتبر التجربة الأولى في مجال الرواية العربية حيث قدم لنا هيكل في هذه الرواية امرأتين مسلمتين، الأولى امرأة مسلمة ريفية بسيطة أعلى ما تملكه شرفها، محافظة على المبادئ والقيم الأخلاقية والإسلامية اسمها زينب وهي من الطبقة العاملة أما الثانية فهي امرأة مسلمة من الطبقة الارستقراطية اسمها " عزيزة ".

وجعلهما متناقضتين ليرز من خلالهما الفوارق الاجتماعية بين الطبقة الشعبية الكادحة والطبقة الارستقراطية المرفهة فالمرأة الأولى " زينب " فلاحا بسيطة عاملة بميدان الزراعة تخالط الرجال أثناء العمل في الحقول تتعم بحياة جميلة وينطلق على سجيتها وسط الطبيعة دون رقيب وفي حرية تامة أما عزيزة المرأة الارستقراطية التي تعيش سجينه عزلة والدها لا تخرج منها إلا في حالة الضرورة القصوى... مما يجعلها حزينة عبوسة حبيسة النفس عليه الروح مريضة على الدوام.<sup>2</sup>

ومن هنا يقلب هيكل الأفكار والتصورات فيصور زينب بأنها امرأة تتمتع بالحرية أما عزيزة هي المرأة الحبيسة مريضة النفس المتشوقة لرؤية نور الشمس وهنا أراد هيكل أن يعرض في روايته آراءه في قضية المرأة التي كانت الشغل الشاغل لمعظم المفكرين في مصر في ذلك

<sup>1</sup> فاروق خو رشيد: في الرواية العربية عصر التجمع، دار الشروق، ط3، سنة 1998، ص 75.

<sup>2</sup> محمد يوسف سواعد المرأة في الأدبيات العربية المعاصرة (مصر نموذجاً) دار زهران لنشر والتوزيع عمان الأردن، ط1، سنة 2010، ص 86.

الوقت مما جعل هيكل من " عزيزة " الفتاة بنت التاسعة عشر من العمر مصلحا اجتماعيا يعرض قضية تحرير المرأة في مصر كأنها محامية ضليعة في مجال حقوق الإنسان.<sup>1</sup>

إن تجربة محمد حسين هيكل برواية زينب تعد الخطوة الأكثر قريبا من الفن الروائي ووعيا من كل سابق رغم ما حفلت به أيضا من لغة ضعيفة وعامية معربة ومبتذلة وسطحية، لكنها تبقى مرتبطة ارتباطا قويا بشكل (الروي) والوصف، ومع ذلك يتفق معظم النقاد والدراسيين على أن " زينب " هي بداية مقبولة نسبيا لنشأة رواية فنية طمحت لنضج.

وتبقى الرواية في كل الحالات إذن تجربة إنسانية رغم ضعفها، عليها ما على كل الأعمال التي تبدأ تجربة التأسيس المبعثرة بطبيعتها المعقدة بفعل واقعها، على المستوى الشخصي أو على المستوى الفني أدبيا فأسهمت بذلك في زرع البذور الأولى لهذا النوع الأدبي الذي سرعان ما خاض التجارب فيه كتاب عديدون فشقوا طريقهم بعناد وإصرار على يدي أعلام متمكنة تجاوزت تجربة " هيكل " موضوعا ومعالجة.

أما في ما يخص الأدب الروائي الجزائري فقد شهدت الرواية الجزائرية تطورا ملحوظا تمثل في ظهور سيل من الروايات تناولت مواضيع شتة اجتماعية وثقافية وسياسية، تندرج منها قضية الوطن وقضايا أخرى، وقد كان للرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية الفضل في التمهيد لظهور نظيرتها باللغة العربية حيث ظهرت بكثافة مصاحبة التغيرات الاجتماعية والتحولات الديمقراطية بل كانت الوجه الآخر الفني طبعاً، وهذا ما جعلنا نقول أن الرواية الجزائرية المكتوبة بالعربية بعد الاستقلال كانت بمثابة الوليد الشرعي الذي أنجبته التحولات الثورية بكل تناقضاتها، وبدأت تظهر بوادر الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة العربية " لأحمد رضا حوحو " برواية " غادة أم القرى " حين بدأت تعانق الفن الروائي بوعي وقصص وهي تعتبر علامة مضيئة في مسيرة النثر الفني الجزائري، على الرغم من

<sup>1</sup> محمد يوسف سواعد المرأة في الأدبيات العربية المعاصرة ، ص 88.

محدودية افقها لكنها استطاعت أن تهد عرش الشعر الحماسي، تحدث في هذه الرواية عن معاناة المرأة الحجازية وما تلاقيه من تهيش وحرمان، حيث عاش هناك فترة مع أسرته ( 1934 - 1946)، وأنهى كتابتها في جانفي 1947 و من روائي هذه المرحلة نذكر عبد المجيد الشافعي، له رواية الطالب المنكوب " وهي ثاني رواية جزائرية باللغة العربية ظهرت سنة 1951<sup>1</sup>

- نور الدين بوجدره: له " رواية الحريق " عام 1957 ثم رواية صوت الغرام " لمحمد منيع، ثم تلتها رواية رمانه للكاتب الطاهر وطار " غير أن النشأة الجادة للرواية الفنية الناضجة إرتبطت برواية ربح الجنوب " <sup>2</sup>
- إن الأعمال الأدبية الجزائرية استطاعت أن تواكب الجماليات الفنية لرواية الجديدة وحصدت العديد من الألقاب والبطولات، وتمكنت من أن تصنع لنفسها اسما كبير في الساحة الفنية العربية وحتى العالمية.

### ثانيا: الرواية السنوية وظاهرة التمرد الأنثوي:

في ظل العنف والبحث عن الذات الإنسانية المسلوقة راحت المرأة تشق طريقها مقتحمة بذلك عالم الكتابة الروائية لتثبت نفسها، إيمانا منها بأن الآخر لن يستطيع عكس مشاعرها الأنثوية والتعبير عنها بأقلامي لقد سأل الشاعر نزار قباني الى ابي مدى يمكن للرجل أن يتباها مع المرأة؟ أي يتحدث الشاعر عن المرأة بعامة. من موقعه الذكوري وقد ينجح في حالات قليلة إلى التحول بلسانها عن أحاسيسها كأنثى.<sup>3</sup>

السبب الذي جعلها تفجر مكبوتاتها كحل لتحقيق انتصارها وتفريق دواخلها (مشاعرها) نحو العالم الخارجي بالقلم والحبر وبذلك تصبح هي الأقدر على حمل لواء تحرير المرأة من

<sup>1</sup> محمد مصايف، النشر الجزائري الحديث المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د ط، 1983 ص 137.

<sup>2</sup> مامية عايدة أديب تطور الأدب القصص الجزائري (1925 - 1967) ديوان المطبوعات الجامعة الجزائرية د.ط، 1982 ، ص 133.

<sup>3</sup> إبراهيم أحمد ملحم الأنثوية في الأدب النظري والتطبيق ، عالم الكتب الحديثة لنشر والتوزيع ،بيروت الأردن ط1، 2016 ، ص 23.

الخضوع إلى السلطة الذكورية المتوارثة بين الأجيال وتقول الأدبية زوليخة أبو ريشة منذ ان أمسكت القلم وخطت أول كلمة في أول قصة، كنت أشعر أنني أكسر حلقة في سلسلة قيدي.<sup>1</sup>

وفي هذا السياق يمكننا أن نأكد مرارة تجربة الاقصاء والتهميش الأزلي الذي عاشته المرأة جعلها تأسس عبر الكتابة لخصوصية سردية تتجاوز الدور والأفكار التقليدية<sup>2</sup> لقد سارت الكتابة بحثا عن أفق أوسع للحرية، تحقق فيه المرأة توازنها المفقود بين ذاتها الداخلية والاجتماعية، بينما ترغب بإعلانه وبين ذلك المسكوت عنه وتجد الروائية في بطلاتها وسلبية الاعتراف التي تحقق لها الأهداف برحم الحرية بين الأنا و العالم.

لكن المجتمع الذكوري يقرأ في حكاية بطل الرواية سيرة الكاتبة الصفحة ذاتها، وهذه نصف الحقيقة التي غالبا ما تكون أخطر من الحقيقة نفسها مما يولد الكثير من الآلام بالنسبة للروائية التي تحاول سرد قصة بنات جنسها أو تتخيل حلما يأتي فيتعاظم الالتباس وسوء الفهم والظن، فيلقي القبض عليها ملتبسة باعتراف صريح أو بممارسة أحلام شاذة وممنوعة ويلاحظ عند متابعتنا للرواية السنوية العربية أن القاسم المشترك الأعظم في هذه الروايات إنما ينطلق من صراع الضد بين المرأة والرجل، إذ يظهر الرجل الذكر المسؤول المباشر عن اضطهاد المرأة وتخلفها وحرمانها من حقوقها، وبالتالي فإن روايتهن تكاد وتتحول في كثير من الأحيان إلى مرافعة دافع عن الضحية المرأة لإدانة لمجرم الرجل ويستعرض الكاتب نزيه أبو نضال بعض عناوين الرواية النسوية ليخطط هذا المعنى.

<sup>1</sup> إبراهيم أحمد ملحم الأنثوية في الأدب النظري والتطبيق ، 46.

<sup>2</sup> هاجر حويشي تفكيك الذكورية في السرد النسوي من منظور عبد الله إبراهيم مجلة العلوم الإنسانية قسنطينة، الجزائر، العدد 48، 2017 ص 393.

لم نعد جوارى لكم سحر خليفة، امرأة خارج الحصار لرجال أبو غزالة، الرهينة لا ميلي نصر الله، الديمي الحية لهند سلافة، لست دمية لثرية شيخ العرب لعنة الجسد نصوصي عبد الله المرأة والقطعة وتسمية تخرج من البحر ليلى عثمان الضحية مليكة الفاسي...<sup>1</sup> إن ما تحمله هذه لروايات من العناوين وحتى المضمون ما هو إلا شكل من أشكال التعبير عن الذات وما هذا العداء لرجل إلا رد فعل لما تواجهه بعض الناس في الحياة الواقعية من شعور بالدينونة والقهر فكانة الرواية منفذ للمرأة تخرج من خلاله إلى العالم الخارجي لتطلعه على همومها مشاكلها وقضاياها ولو أنها لا تخرج بذلك مباشرة، وإنما من خلال الشخص الوهميين بالرواية وباستخدام استراتيجيات متنوعة تستطيع من خلالها منح الحرية لبطلاتها بتخرجها من صمتها.

إن موضوع القهر هو الوجه الآخر لموضوع الحرية، فالقهر يولد التمرد والمقاومة والسعي إلى التجاوز والتحرر، وقد لا تبرز محاولات التمرد والتحرر بشكل مباشر في العديد من الروايات العربية، إلا أن التعبير الروائي الإبداعي عن القهر في ذاته يفجر الإحساس بتفضيه أي الإحساس بضرورة الحرية وإرادتها<sup>2</sup>

يعتبر الكثير من الدارسين أن دخول المرأة في الجامعات في الأربعينيات من القرن العشرين تمردا في حد ذاته على المستوى التعليمي، والذي كان مقتصرًا على مستوى يؤهلها لأن تكون ربة منزل، لكن المرأة تحدث ذلك بإظهار تفوقها، مما وسع لها التمرد في المجال الثقافي فأخذت تقرأ ما كان محظورا قرأته من روايات ودواوين شعرية ومقالات ثم أخذت تخرج إلى المحاضرات والنشاطات الثقافية مما وسع لها المناخ الثقافي، فاستطاعت أن تتمرد حتى ي السياسة.

<sup>1</sup> ينظر نزيه أبو نضال الشرط الاجتماعي قصورة لوعي في الرواية السنوية العربية في خصوصية الإبداع وزارة الثقافة عمان، د ط، 1997 ص 28.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 28.

وخرجت المرأة العربية للعمل وأصبحت منتجة، وصارت عضوا فعالا في المجتمع وأصبح لها شأنها في الحياة وهيأت الأسباب الكثيرة للمرأة أن تعي دورها في المجتمع لما تلقته على مقاعد المدرسة، وبما قرأته من كتب، وبما وصلها من أفكار من الغرب فتدرت اجتماعيا وبرزت تفرض العادات والتقاليد التي تكبل حريتها، واتجهت للعمل والاستقلال المادي وتمردت اقتصاديا وانعكس ذلك على الإنتاج الأدبي والفكري والثقافي للمرأة وظهرت آثار ذلك التطور على الأدب النسوي شعرا ونثرا فخرجت المرأة عن نطاق التحدث عن آلامها، إلى التعبير عن قضايا مجتمعتها وأحداث شعبها وآماله.

وفي عام (1950) كان انبثاق المرأة الجديدة بالنسبة للرواية النسوية فقد نشرت دار المعارف بمصر رواية (الجامعة) للكاتبة المصرية "أمينة السعيد"، وهي صفة تتم عن التمرد وكذلك روايات مراهقة" لماجدة العطار"، وكفاح المرأة "لكاثرين معلوف" وفتاة تافهة "لمنى جبور" والحجاب المهتوك "لهند سلامة" واعترافات امرأة مسترجلة "سعاد زهير"، وقد عبرت هذه العناوين عن رغبة في الإصلاح والتغيير من خلال لمعان بطلات تلك الروايات عن الاحتجاج ضد النظام الاجتماعي، إما بالانسحاب من النظام الزوجي، أو العودة إلى الديار، أو مواجهة موتهن عادة بالانتحار، حيث لا يوجد مخرج، وكان ذلك طريقة للتعبير عن احتجاجهن على ظروف حياتهن " <sup>1</sup>

واتسمت بعض الكتابات المرأة بالجرأة في التعبير، إلا أنه من الغريب أن يضع أدباؤنا ونقادنا العرب مفهوم الجرأة لديها على أنها استعراض لتجارب حسية تقترب من المناطق المحظورة أو المخفية في حياة البشر فعندما يوجد الموضوع الكبير توجد الجرأة الكاملة ويختفي الخوف، وتكون أدواتي أذكى من السقوط في فخ الإثارة أو المخالفة، ومن ثم قبض جدد وجرأته داخل حدود الإطار الأخلاقي والموضوع للأشياء وتبقى داخل حدود الإطار الفن للإبداع وهذا النوع من الأعمال الذي تكون فيه ثقة الكاتب للموضوعات أكبر من اجتهادات الرقي، هذا العمل هو الذي يستحق أن يوصف بالجرأة.

<sup>1</sup> ينظر بثينة شعبان، مئة عام من الرواية النسائية العربية، دار الأدب بيروت لبنان، ط1؛ 1999ص93.

ويعتبر نزيه أبو نضال أن الكتابة تستهدف من خلال كتابتها الأنثوية المتمردة تحقيق أمرين مترابطين الأول: التعبير عن ذاتها بحرية ضد كل قوانين التحريم، فنجعلها الكتابة حرة والثاني: أن تبلغ الذكر بأن قاموس اشتراطاته في كيف يجب أن تكون الفتاة من حيث لغتها وعقلها ومشاعرها وأحاسيسها وسلوكياتها الفعلية هي على النقيض تماما مما يعتقد أو يريد وبذلك تلعب الكتابة الأنثوية المتمردة دور تنويريا مهما للخروج من عصر الظلمات، وتسهم في تحرير الرجل من الأوهام".<sup>1</sup>

إن المجتمع العربي الأبوي الشديد المحافظ رغم تبايناته الواضحة، قد حال دون تعبير الكتابة عن ذاتها وإنما شعرية جسد المرأة وما تفكر به صاحبتة باعتباره استجابة مشروعة لمكوناتها الطبيعية يأخذ في نظر الذكر صفة الحرام والعين فتضطر إلى السكوت عما تشعر به وترغبه فتصبح محرومة حتى من اللغة، وهذا المسكوت عنه هو ما تسعى الكتابة التمرد عليه عن طريق ذاتها وهذا الواقع دفع الكتابة إلى الرغبة في التمرد وإدانة هذا الواقع .

فكانت فضيلة فاروق الأقرب إلى هذه الدراسة من خلال روايتها تاء الخجل " يتكون هذا العنوان من وحدتين لسانيتين، ظاهرتين مضرة، تجمع بين الوحدتين الظاهريتين عملية الإضافة، من حيث أن " تاء " أضيفت إلى " الخجل " وبذلك ينشأ الانحراف الدلالي وكسر أفق التوقع إذ أن التاء ملتصقة في الذاكرة الجمعية منذ زمن بعيد بالتمييز بين قطبين الجنس البشر (رجل / امرأة مذكرة / مؤنث) " <sup>2</sup>

فالعنوان هو العتبات النصية لرواية يحمل في طياته رموز مستقرة تحمل العديد من المدلولات " إن الخجل في العنوان دال على أنه مجموع القيم والخصائص والشروط والمعايير

<sup>1</sup> ينظر نزيه أبو نضال تمرد الأنثى في رواية المرأة العربية وبيولوجرافيا الرواية النسوية العربية، دار فارس، الأردن، ط1، 2004، ص 10، 11.

<sup>2</sup> عصام واصل الرواية النسوية العربية (مسألة الأنساق وتقويض المركزية) ، دار كنوز، عمان ط1، سنة 2018 ص

والقوانين الصارمة اجتماعيا وأخلاقيا وفكريا - التي يتواضع عليها المجتمع فتصبح خطوط حمراء وحدود تبين وظيفة المرأة وتصرفاتها وتلزمها بأن لا تحيد عنها أو تخرقها.<sup>1</sup> فالمرأة مجبرة على أن تتجاوب مع ما يفرضها مجتمعها من عادات وتقاليد فأرادة فضيلة فاروق من خلال روايته تاء الخجل أن تنزع هذا الثوب الذي لبسته المرأة عن إجبار وكره فالمثنى يحدد ماهية الخجل تركيبيا أو دلاليا بواسطة حوامل لغوية مستخونة بالقيم الإحتقارية للمرأة وبالنزعة التسلطية عليها وبالإيديولوجية التي تسعى إلى إخراسها وتكبيله<sup>2</sup> لقد أرادة فضيلة الفاروق أن تسلط الضوء على التهميش الذي تعاني منه نساء المجتمع فكشفت النسق الاجتماعي الإيديولوجي الموغل منذ القديم (حياة الجدة والأم بل إلى ما هو أقدم من ذلك) والمهيمن على الحاضر (واقع الرواية وبنات جيلها) وهو النسق الذي يحدد بشكل سبق وظيفة المرأة وملامح صورتها النمطية التي يريد لها (قطيع من الدرجة الثانية وتهم في رسم ملامحها جملة من الأطراف المؤسسة الفردية والجماعية (العائلة - المدرسة - التقاليد - الإرهاب)<sup>3</sup> كل هذا جعل كسد حاجز ضد المرأة وحصرها في زاوية ضيقة ومحدودة.

إن الرواية تعكس لصورتين متقابلتين أحدهما متعلق بالمرأة والآخر بالرجل هذا الأخير الذي لديه السلطة كي كل شيء حر طليق يفعل ما يرد ويشاء دون رقيب وبينما يتسلط على المرأة المجتمع والقانون وتضل مراقبة في أفعالها وتصرفاتها كل شيء عني كان تاء للخجل - كل شيء عنهن تاء الخجل - يموت بصمت - ضرب مبرح حواري - حريم - أنثى - الأنوثة - الحيرة، أما الرجل فيمثل السلطة الذكورية والهيمنة العالية - الضرب المبرح - القانون - الحروب، قساوة الرجال.<sup>4</sup>

<sup>1</sup> عصام واصل الرواية النسوية العربية ، ص 58.

<sup>2</sup> المرجع نفسه ، ص 64.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 113.

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ص 115.

فالمرأة تبقى يمارس عليها أساليب القسوة والإهانة على عكس الرجل الذي يمثل هرم السلطة وزعيمها فتظل المرأة مقموعة والرجل هو القامع " كل سورة من هذه الصور تضرر حقا دلاليا كاملا في طياتها أنساقا متعددة مكثفة، تجعلها خصبة قابلة لدراسات عدة من زوايا نظر شتى انثروبولوجية واجتماعية وسياسية وفكرية، أو الجمع بين هذه كلما بواسطة آلية التناص. " <sup>1</sup>

إن فضيلة الفاروق من خلال روايتها تاء الخجل أرادت من خلالها أن تتمرد على القيم والمبادئ السلبية التي رسخت في أذهان المجتمعات لأحقاب طويلة، فكانت تجربتها من خلال هذه الرواية لإعادة النظر في حق المرأة التي عانت الكثير في ظل الاضطهاد والتهميش، ومركزية الآخر فالرواية تحمل العديد من إشارات التمرد من خلال روايتها، ورفضها لكل الممارسات من قبل الآخر باعتبارها إلغاء لها ومصادرة لجنسها وتحجيما لحريتها. " <sup>2</sup>

إن إبداع فضيلة فاروق تمتلك هذه السمات من خلال نظرتها للواقع الجزائري وأزمته، بالإضافة إلى تأثرها بالهموم التي عاشتها وجربتها، فكونة بذلك شخصيتها، وهذا ما جعلنا نقول أن الرواية حتى وإن كانت فن المتخيل، إلا أنها في الوقت نفسه حصيلة لمجموعة من التجارب المعيشية.

### مفهوم الرواية النسوية:

يتصل فن الكتابة التي قامت بتحديد الأشياء ووظائفها، فدخلت اللغة كفن لتعبير عن كل ما يخص النفس الإنسانية وأصبحت في الأخير أهم وسيلة تعبيرية يستعملها الإنسان لتعبير عن أحاسيسه وعواطفه، فأصبح الكتاب يشكلون اللغة كل حسب ذوقه الخاص وبذلك ظهرت الفنون المختلفة أبرزها الرواية فصارت هذه الأخيرة تعكس الواقع الذي يعيشه الإنسان، فظهرت كاتبات نساء برعن في هذا المجال وكانت لهن إبداعات رائعة فيه وكانت

<sup>1</sup> عصام واصل الرواية النسوية العربية ، ص 115.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 115.

البدايات الأولى: " في الستينيات من القرن العشرين، أصبحت المرأة قادرة على أن تعبر عن ذاتها بالطريقة التي تريدها خاصة في المجتمع المدني المتنوع والمتعدد اجتماعيا، لا سيما أن المجتمعات الريفية كانت ومازالت لا تعطي المرأة حرية للكتابة،<sup>1</sup> فوجدت بذلك المرأة طريقة تعبر بها عن أفكارها ومشاعرها وتحاول من خلالها أن تضع لنفسها مكانة في المجتمع الذي يتركز على الذكر ويجعل من المرأة هامشا " لقد هيمنت شروط الوعي الذكوري وجمالياته على تاريخ الكتابة العربية التي جعلت الرجل محور بنيتها ومن ثم أساس الثقافة فيها. وهذه الثقافة الذكورية هي التي اتخذت من الفكرة القضيبية الأساس في تنظيم علاقات المجتمع المختلفة، واضطهاد الآخر المرأة في تركيبة هذه العلاقات، وبذلك غدا الرجال، أسياد المجتمعات ومبرمجي ثقافتها "<sup>2</sup>

فالمرأة جعلت من القلم أداة لفتح آفاق جديدة كانت محجوبة عن الواقع والمجتمع تقول "ليلي الأطراش" أن الرواية لم تعد توصيفا لحالة خاصة بل إن الرواية الآن تقدم المعرفة وتكتشف المسكون عنه."<sup>3</sup>

وفي المقابل أصبحت الكتابة للمرأة هوية وفن تمارسه فاتحتا بذلك المجال لنفسها لفك قيودها" خرجت الأنثى من عنق الزجاج حيث الكلمة التي احتبست كأبتها، لتتجلى بأقصى ما تستطيع من قوة وكأنها تريد أن تنتقم لذاتها بالإقبال الشرس عليها غير مبالية بمقتضيات الرقباء مهما كانت مواقعهم، لأنها على يقين من أن الكتابة الإبداعية شكل من أشكال التحرر إن لم يكن أفواها على الإطلاق "<sup>4</sup>

ومن الواضح أن صورة المرأة وحضورها في الخطاب الروائي يتغير من لون لآخر" تبقى المرأة بين حدود الذات وتقوم الكتابة وحين تكتب نصها تكون قد تكتب ذاتها التي تتحول إلى علاقة أنثوية جاذبية مستقطبة لجميع المحاور الأخرى كما تتحول على مطلق

<sup>1</sup> حسين مناصرة النسوية في الثقافة والإبداع ،التنوير لطباعة والنشر والتوزيع ،الأردن ط1 ، سنة 2007 ص 2.

<sup>2</sup> المرجع نفسه ، ص 65.

<sup>3</sup> إبراهيم أحمد ملحم الأنوثة في الأدب النظرية والتطبيق ص 49.

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ص 51.

سريع الانتشار بصعب الإمساك به يتنوع في خلايا النص معتمدا على الصيغ المحتملة التي تجعل في حالة تغير وتلون " <sup>1</sup> هكذا أصبحت الرواية النسوية العربية بصوت المرأة المتأثرة والمشحونة بالغضب الراض لأي تواطؤ مع الإيديولوجيات السائدة في سبيل خلخت كل الأشكال العنف الممارس عليها، صوت المرأة الذي ينتاسى تدريجيا بعد أن لفه الصمت، على مدى التاريخ من جراء الخوف والترويض في ظل شروط اجتماعية غير متكافئة بين الرجل والمرأة. " <sup>2</sup>

إن ظهور الكتابة النسوية كتجربة جديدة لرواية يعكس مدى قدرة المرأة على معايشة واقعها وخير مثال على ذلك الروائيات اللواتي أستطعن أن يبرزن جدارتهن وتركن بصمت على الساحة الأدبية.

ينقل عبد الله الغدامي رأيا لعبد الحميد يحي الكاتب يقول " خير ما كان لفظه فحلا ومعناه بكرا وكأنه بهذا يعلن عن قسمة ثقافية يأخذ فيها الرجل أخطر ما في اللغة وهو اللفظ بما أنه التجسيد العلمي للغة والأساس الذي يبنى عليه الوجود الكتابي والوجود الخطابي لها، فاللفظ فحل ذكر والمرأة المعنى لاسيما وأن المعنى خاضع وموجه بواسطة اللفظ وليس للمعنى من وجود أو قيمة إلا تحت مظلة اللفظ، وهذه قسمة أولى أفضت إلى قسمة ثانية أخذ فيه الرجل (الكتابة) واحتكرها لنفسه وترك للمرأة (الحكي) وهذا أدى إلى أحكام السيطرة على الفكر اللغوي والثقافي وعلى التاريخ من خلال الكتابة لهذا التاريخ بيد من يرى نفسه صانعا له وهنا تأتي المرأة إلى اللغة بعد أن سيطر الرجل على كل الإمكانيات اللغوية، وقرر ما هو حقيقي وما هو مجازي في الخطاب التعبيري، ولم تكن المادة في هذا التكوين سوى مجاز رمزي أو مخيال ذهني يكتبه الرجل وينسخه حسب دواعي البيانية والحياتية... إن توظيف المرأة للكتابة وممارسته للخطاب المكتوب بع عمر مديد من الحكي يعني أننا أمام نقلة نوعية في مسألة الانصاح عن الأنثى إذا لم يعد الرجل هو المتكلم عنها...

<sup>1</sup> الأخضر السائح، سرد المرأة وفعل الكتابة، دراسة نقدية في السرد آليات البناء دار التنوير، الجزائر (د،ط) 2012، ص 100.

<sup>2</sup> هاجر حويشي، تفكيك المركزية الذكورية في السرد النصوي من منظور عبد الله إبراهيم ، ص 340.

المرأة صارت تتكلم وتفصح عن افصاحها بواسطة القلم لقد إحتسبت المرأة أخيرا ودخلت إلى لغة الآخر واقتحامها ورأت أسرارها وفكت شفراتها فتكلمت المرأة عن مأساتها... وكشفت على أن عدوها الحقيقي هو الثقافة<sup>1</sup>

بهذا يمكن القول أن الرواية النسوية التي تكتبها المرأة هي خصوصية فنية تطرح موضوعات وقضايا تعبر عنها من منطلق أنوثة لبيان هويتها داخل المجتمع إلى جانب الرجل لتعبير عن ذاتها في ظله.

### نشأة الرواية النسوية العربية:

تطورت كتابة المرأة العربية كثيرا في أوائل القرن العشرين وخرجت إلى أفاق العالمية بشكل يلفت الأنظار، ولم تعد أسيرة الصالونات الأدبية كما كانت في أوئل القرن العشرين وترى الكاتبة بثينة شعبان " في كتابها (مئة عام من الرواية النسائية العربية) أن: " المخاوف من اتهام الروائيات العربيات بأنهن يطرحن القضايا ذات طابع سيري أو قضايا شخصية حول الحب والزواج والأطفال والأسرة وهي ليست ضمن اهتمامات الجمهور دفعت ببعض الروائيات العربية التي اختير بطل ذكر بدلا من بطلة أنثى برواياتهن خبرة اجتماعية أعمق وأوسع."<sup>2</sup>

تعد الرواية العربية بالمقاييس الفنية المعاصرة حديثة العهد، لم يمضى عليها سوى قرن من الزمان، لكن الأبحاث التي تتناول ولادة الرواية العربية الحديثة تكشف أن المرأة العربية كان لها فضل الريادة وأسهمت قبل الرجل في ظهورها. **بدايات الرواية السنوية العربية:**

يرى الباحث " نزيه أبو نضال " في كتابه (تمرد الأنثى في رواية المرأة وبيولوجرافية الرواية النسوية العربية) 1885 – 2004: " أن الخط البياني لهذه الرواية لا يتحرك بصورة متصلة ومتصاعدة سواء على مستوى القطر الواحد أو على مستوى مجموع الحركة الروائية

<sup>1</sup> عبد الله الغدامي، المرأة واللغة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب ط3، د.ت، ص 87.

<sup>2</sup> أياد نصار، إشكالية التمرد والوعي ونظرة الآخر، صحيفة الرأي الأردنية، الملحق الثقافي الأسبوعي، 22 – 01 –

النسائية العربية، فإذا كانت أول رواية وهي نتائج الأحوال قد صدرت عام 1885 بتوقيع (عائشة التيمورية)، في مصر، فإن الرواية التالية ستصدر بعد ست سنوات ولكن هذه المرة بتوقيع (إليس البستاني) من لبنان، تليها عام 1893 بهجة المخدرات (لفريدة عطية) من لبنان أيضا<sup>1</sup>

كما نشرت: " الروائية (زين فواز) روايتها الأولى بعنوان حسن العواقب عادة الزهراء عام 1899 تلتها اللبنانية ( ليبيبة هاشم) التي أصدرت رواية عام 1904 بعنوان قلب الرجل وكتبت (عفيفة كرم، رواية حملت عنوان (بديعة وفؤاد) وقد صدرت في نيويورك لأول مرة عام 1906م وهي في مجملها قصة حب تجري أحداثها على ظهر سفينة متجهة إلى الولايات المتحدة وتحمل مهاجرين لبنانيين وتطرح مسائل التخوف من الحياة في البلاد الجديدة وموقف المرأة من العصرية وتحدي الهوية وعلاقة الشرق بالغرب لذلك حصل قبل أن ينشر محمد حسين هيكل روايته زينب<sup>2</sup>

وفي عام 1909م نشرت البيبة ميخائيل صوايا من سوريا (مسناد من سالونيك) وقد نشرتها متسلسلة على حلقات في جريدة عربية كانت تصدر في نيويورك آنذاك أما في العراق فقد صدرت أول رواية نسائية عام 1948م بتوقيع " (مليحة اسحاق) ولكنها طبعت في لبنان، وعدا ذلك فحتى عام 1948م لم تصدر أي رواية نسائية عربية خارج مصر وبلاد الشام، باستثناء صدور رواية المغربية (مليكة الفاسي) عام 1938 و (جميلة دببش) من الجزائر عام 1946م أو ما صدر بالفرنسية في باريس، لحلا معلوف من لبنان وقوت القلوب الدمرداشية من مصر<sup>3</sup> .

وقد بلغ عدد الروايات النسائية التي صدرت بين عامي 1885 - 1948م: " ما مجموعة (54) رواية منها واحدة مغفل دار نشرها، أي أقل من رواية واحدة كل عام، طبع منها في القاهرة (32) رواية مما يكشف حجم الدور المركزي لمصر آنذاك 6 وكذلك بالنسبة

<sup>1</sup> نزيه أبو نضال، تمر الأنثى في رواية المرأة العربية وبيبلوغرافيا الرواية، الرواية السنوية العربية، 26.

<sup>2</sup> المرجع نفسه ص 28.

<sup>3</sup> المرجع نفسه ، ص 270.

للبيان حيث طبع فيها (6) روايات، وباريس (8) ونيويورك (3) ورواية واحدة في كل من دمشق والغرب والجزائر وبرلين " <sup>1</sup>

ونجد هذه البدايات الروائيين المتعثرة والمتأثرة: " اقتصر على مصر ولبنان، ولكنها لم تلبث بعد عام 1948م أن انتظمت واتسعت نسبياً... فأصدرت سلمى العفار الكزبري عام 1949م من دمشق يوميات هالتي وفي نفس العام أصدرت فتاة بغداد ليلة الحياة ثم تبعتها برواية ثانية بعنوان (بريد القدر، عام 1950م، وفي دمشق أصدرت (وداد سكاكيني) في نفس العام (1950) روايتها الأولى أروى نبت الخطوب ثم أتبعها " بالحب الحرام " عام 1952". <sup>2</sup>

ومن العراق أصدرت " حربية محمد " عام 1953 جريمة رجل وبعدها بعام واحد أصدرت (من الجاني؟) ثم أصدرت العراقية " ناجية حلمي " روايتها 4 نساء عام 1955م، ومن المغرب تطل علينا آمنة اللوة بروايتها " الملكة خناقة " عام 1954م وبعد ذلك يتسع مدى الرواية النسوية.. في لبنان: " فجرت " ليلي بعلبكي"، عام 1955م قبلتها الروائية أن أحيا، وفي نفس العام تصدر روايتان عن النكبة الفلسطينية: في الأردن تصدر " مريم مشعل" فتاة النكبة ومن دمشق تصدر " هدى حنا " صوت اللاجئين ومن سوريا تفجرت كوليت خوري روايتها أيام عام 1959م ولكنها تطبعها في بيروت <sup>3</sup>

وفي الجزائر بدأت آسيا جبار إصداراتها الروائية ولكن بالفرنسية العطش 1957م ثم (النافذة والصبر عام 1954م) وتكتب " هيام نويلاتي " من سوريا روايتها " في الليل" ومنذ بداية الستينيات تواصل سوريا بقوة دخولها على خط الرواية السنوية العربية الذي بقي لفترة طويلة حكراً على مصر ولبنان تقريباً حتى العام 1967م نقرأ تباعاً للروائيات (ليلي الياخي، 1960) و (أميرة حسني 1962، 1961) (كوليت خوري 1963) و (جورجية حنوش 1964، 1961) (وأنغام مسالمة 1963) و (حياة بيطار 1964) و (سلمى الحفار الكزبري

<sup>1</sup> نزيه أبو نضال، تمر الأنتى في رواية المرأة العربية وبيبلوغرافيا الرواية ، ص 270.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 270.

<sup>3</sup> المرجع نفسه ، ص 271.

1965)، (وقصر كيلاني 1965) من خلال هذا السيل الهائل من الروايات النسوية نلاحظ بان الروايات العربية كان لهن الفضل في بروز الرواية العربية وتطويرها على الصعيد الفني

### ثالثا: أهم الأعمال التي جسدت الصراع (الذكورة والأنوثة).

إن الحديث عن الرجل والمرأة هو الحديث عن العلاقة بين طرفين متقابلين ومتناقضين أحدهما المرأة (الأنثى) التي تخضع لرجل (ذكر) على اعتبار أن التاريخ والثقافة يبرجان كفة الهيمنة لصالحه في المقابل اضطهاد للمرأة تحت جناحه وإن ثنائية الذكورة و الأنوثة في الرواية العربية أسالت جبرا كثيرا، مما جعلها محور استقطاب للعديد من الدراسات الأدبي والنقدية، وقد حاولنا الوقوف عند بعض الرواية التي جسدت الصراع الذكوري والأنثوي داخل العمل الأدبي الإبداعي، ونأخذ بعين الاعتبار رواية موسم الهجرة إلى الشمال للروائي الطيب صالح الذي صور لنا صراع الذكورة والأنوثة في رواية موسم الهجرة إلى الشمال.

### موسم الهجرة إلى الشمال للطيب صالح

يصل الصراع بين الرجولة والأنوثة في هذه الرواية إلى أقصاه وأوجه بل إن الصراع يصل إلى درجة العنف والقتل وقد تجسد الصراع من خلال شخصية مصطفى سعيد الذي يمثل الرجولة والأنوثة تمثلها النساء الغربيات والميدان الذي كان يجري عليه هذا الصراع هو غرفة نوم البطل في قلب لندن، وكانت غرفته وكرا للأكاذيب وقد بناها واثها أكذوبة وكانت هذه الغرفة عبارة عن مقبرة حيث إن كل فتاة تدخلها تحفر قبرها بيدها دخلتها أن همد فوجدها فيما بعد ميتة في بيتها انتحارا بالغاز ومعها رسالة تقول " مستر مصطفى لعنة الله عليك " <sup>1</sup> والحادثة نفسها وقعت لشبلا عرينودو إيزابيلا سمور وكان مصطفى سعيد الكذب أمضى أسلحته وأشرصها به يقتنص فرائسه ثم يجهز عليهن بعد ذلك فإذا كان الاستعمار

<sup>1</sup> الطيب صالح، موسم الهجرة إلى الشمال ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ودار الجنوب (تونس) دط،1979، ص 35.

الغربي- بما يملكه من حضارة راقية - قد حسسه بخصائصه الثقافية والحضارية في عقر داره (السودان) إذ من الزاوية الفكرية فإن استمداد المعرفة من الغرب وهو نوع من الاغتصاب كذلك والذي يجلو فحولة الغرب أمام الشرق لا يجيد إلا الاستهلاك بدل الإنتاج وهو على المستوى الرمزي واللاشعوري لمصطفى سعيد، أعتزف بانتصار رجولة الشرق على أنوثة الغرب كان مصطفى السعيد يثار بطريقة الخاصة من الاستعمار الذي أستعمر بلاده وأستعبد سكانها كان يثار لحضارته المندثرة بسبب هذه الحضارة الغربية التي ينهل من معارفها ويسكن مواطنها وحوضرها ولم يكن يملك من السلاح شيء سوى الجنس، كانت رجولته وفحولته في نظره وسيلة المجدية الوحيدة لمواجهة الغرب والانتقام من الحضارة الغربية.

ولقد كان الصياد النموذجي والذكر المثالي لإيقاع الإناث الغربيات في حباله، هؤلاء الهاريات من بني جنسهن وكن يعتقدن أنهن سيحدث التعويض عند الفحل مصطفى السعيد، كانت إيزابيلا سمور مريضة بالسرطان حاولت أن تستمتع بما تبقى لها من الأيام في هذه الدنيا لكن الحظ لم يحالفها إذ تعرفت على مصطفى سعيد الذي لم يكن يهمه شيء سوى الثأر، لهذا أنهت حياتها بالانتحار.

يعبر لنا البطل عن وصوله إلى محطة القطار قائلاً " وأحسست كأن القاهرة ذلك الجبل الكبير الذي حملني إليه بعيري امرأة أوروبية مثل روبنسون تماماً تطوقني ذراعها يملأ عطرها ورائحة جسدها أنني " <sup>1</sup> كان يرى في كل امرأة أوروبية وجها من وجوه الغرب الاستعماري.

إن الصراع بين الرجولة والأنوثة يبلغ أوجه مع هين مورس.

كانت جميع النساء اللواتي عرفهن قبلها فرائس سهلة، وهو الصياد المحترف الذي يصطاد من دون عناء ولكن هذه المرأة هين موريس " لم تكن صيدا سهلا بل إنها قلبت

<sup>1</sup> الطيب صالح - موسم الهجرة إلى الشمال - ص 47.

المعادلة فأر غمته على أن يلهث وراءها وأن يصبح فريسة بدل الصياد فلم يجد له مخرجا " لم تكن لي حيلة كنت صيادا فأصبحت فريسة لبثت أطاردها ثلاثة أعوام.<sup>1</sup>"

إذا كان الصراع بين الرجولة والأنوثة ينتهي غالبا لصالح القطب الأول أثناء علاقة البطل بالفتيات الأوربيات الأخريات، فإن الصراع يتخذ مجرى آخر بمجرد زواج مصطفى بجين مورس، لقد ظن أن زواجه بهذه الأنثى هو السبيل الوحيد لإخضاعها واستسلامها له بعد طول انتظار ولكنه حدث عكس ذلك فزواجه جعله يحس بإذلال رهيب لرجولته من طرف أنثى هي زوجته لا غير، فمنذ الليلة الأولى التي ضمهما فراش واحد لم تدعه يقربها، بل ظلت شهورا على تلك الحالة تتهرب منه وفي " كل ليلة تقول أنا متعبة، وتقول أنا مريضة " لتتحول غرفة نومه إلى ساحة حرب ومما زاد من حدة الصراع وعنفه أن جين مورس كانت دائما تشكك في رجولة البطل وتذله، فالرجولة عندها ليست فقط جنس، بل قدرة على الفعل والقيام به فهي ترى في رجلها هذا أنه لا يرتقي إلى مصاف الرجولة وبالتالي لا يرقى نظرها كأنتى، إلا إذا قام بقتلها وهذا ما كانت تلح عليه من جهة وتشكك في قدرته على القيام بذلك من جهة أخرى، إلا أن يأتي اليوم الذي ينفذ صبر مصطفى سعيد وأقتنع بذلك وحدث القتل والجنس معا، ووضع الخنجر بين يديها وضغط عليه بصدرة بشدة وبطء وفي الوقت الذي امتلكها فيه كرجل، وأضاعها كأنتى للأبد . وفي تلك اللحظة اعترفت له بحبها واعترف هو كذلك بحبه وكان كلاهما صادقين، أحبها بصدق لأنها باستسلامها له وخضوعها أصبحت في نظره الأنثى الشرقية التي كان يريدتها في أعماقه ويحبها، وأحبته بصدق لأنه بقيامه بفعل القتل ارتقى في نظرها إلى مصاف الرجل القوي والرجولة الحقيقية " فلم تكن هناك طريقة أخرى لامتلاك جين مورس غير اغتيالها... جين مورس كانت عالما ومصطفى سعيد كان عالما، ولم يكن هذين العالمين من سبب غير الصراع والعنف.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> الطيب صالح - موسم الهجرة إلى الشمال ، ص 146.

<sup>2</sup> جورج طرابيش: شرق - غرب رجولة وأنوثة دراسة في أزمة الجنس والحضارة في الرواية العربية دار الطباعة والنشر بيروت ط2 1979 ص 150 - 151.

لقد اكتشف مصطفى سعيد بقتله لجين مورس انه لم يمتلكها مع أن الإيديولوجية الترقية تضر في امتلاك الرجل للمرأة وخضوعها له لكن بقتله لها فقداه ولم يمتلكها وهكذا فقد اكتشف حقيقة أكذوبة أنه جاء لينتقم من الغرب ولعل هذا ما دفعه بأن يصرح أثناء محاكمته على قتله لزوجته جين مورس قائلاً هذا مصطفى سعيد لا وجود له إنه وهم أكذوبة وإنني أطلب منكم أن تحكموا بقتل الأكذوبة<sup>1</sup> .

وفي إشارة أخرى حسنة ( أرملة مصطفى سعيد ) عندما أرغمت على الزواج من ود الرئيس امتعت عليه أسبوعين كاملين لم تدعه يقربها وفي ليلة من الليالي حاول أن ينال حقه منها عنفا وغصبا عض حملة نهدها حتى قطعها وخذشها في كل شبر من جسدها<sup>2</sup> كان يفرغ كبته الشديد اتجاه جسدها، بينما هي ردت عليه بعنف أشد وأقصى فقد قتلتها و قتلت نفسها طعنته " أكثر من عشر طعنات، طعنته في بطنه وفي صدره وفي محسنه" أكثر من عشر طعنات طعنته في بطنه وفي صدره وفي محسنه"<sup>3</sup> فهي لم تكتف بقتل ود الرئيس الذي يمثل الرجولة في أسوأ تجلياتها ولكن زادت على ذلك بأن بترت قضيبه وقطعته ويقامها بهذا الفعل الأخير إنما وضعت بذلك جدا نهائيا لما كان يمثل رمز استعبادها ورمز مهانتها.<sup>4</sup>

لم يكن مسرح الصراع العنيف، والذي انتهى بالقتل بين الرجولة والأنوثة هو الغرب فقط بل تعداه إلى قلب البيئة الشرقية حيث الأنوثة هناك ما تزال ترسف في الأغلال وكأن الرواية ترمز إلى أن جيل المتقفين الذي مثله مصطفى سعيد بعد عودته، أتر في ابناء بيئته وخصوصا في التصور الذهني للأنوثة الجديدة وهذا ما أكدت عليه زوجة مصطفى سعيد فرواية موسم الهجرة إلى الشمال الطيب صالح تعكس بامتياز الصراع الأزلي بين الذكورية والأنوثة.

<sup>1</sup> جورج طرابيش شرق وغرب رجولة وأنوثة ص 85.

<sup>2</sup> المرجع نفسه ص 50.

<sup>3</sup> طيب صالح - موسم الهجرة إلى الشمال - ص 122.

<sup>4</sup> المرجع نفسه ص 176.

## الحي اللاتيني: لسهيل ادريس

في رواية أخرى نجد الصراع بين الذكورة والأنوثة المتشكل تحت عنوان الحي اللاتيني لسهيل إدريس، التي تصور فيها هذا الأخير البطل العربي الذي يحمل مبادئ البيئة العربية المكبلة بأغلال الحرمان والمنع والعادات والتقاليد والذي يتجه إلى فرنسا وبالتحديد إلى باريس لاستكمال دراسته، وهناك يندهش بعالم جديد مغاير بعالمه الذي كان يعيش فيه، فيجد نفسه عاجزا على التأقلم مع الحياة الجديدة المفعمة بالتجربة والانفتاح والمتشبع بالثقافة الغربية، فالشخصية الرئيسية (المتمثل في بطل الرواية) الذي عجز على عكس أصدقائه من إقامة علاقة مع فتاة غربية تفهمه وتساعفه على استرجاع الثقة بنفسه ومسايرة ايقاع الحياة الجديدة، والاستماع بمباهجة المرأة الغربية، وقد ازداد حزنا وأسى وعزلة لما كان يشاهد أحد أصدقائه مرفقا بفتاة غربية كانت الدنيا تظلم أمام عينيه، فيلوم ذاته على قلة جرئته وتجربته فكان بطل الحي اللاتيني لم يقصد باريس بصفقتها عاصمة النور، وإنما بصفقتها عاصمة المرأة، يقول مخاطبا نفسه "تبحث عنها ... عن المرأة ... تلك هي الحقيقة التي تنساها، بل تتجاهلها، لقد أتيت إلى باريس من أجلها"، ويعترف مرة ثانية في دخيلة نفسه، ألا تحاول أن تنكر، أجل، شرقك لم يغرك بالهروب منه سوى خيال المرأة الغربية<sup>1</sup>.

يدرك بطل الرواية أنه يمر بمخاض عسير يمتحن أحاسيسه وقدراته، ويعلم أنه مدعو إلى اجتياز هذا الامتحان حتى يتمكن من الانخراط في الحياة الجديدة.

يتعرف بطل الحي اللاتيني على فتاة فرنسية اسمها جانين مونتيرو ويدخل معها في علاقة عاطفية والتي يسترجع معها جذوة الأمل، إذ رأى في هذه الفتاة الصورة التي كان يبحث عنها منذ زمن بعيد. ومن خلال هاته العلاقة استعاد توازنه في الحياة ونجح في هدم جدار التأهب والحيطة الذي كان بينه وبين الأنثى وتتطور العلاقة بين جانين والشخصية الرئيسية، إلى حد أن أصبح كل واحد منهما يعتبر نفسه جزءا من الآخر وفي إحدى المرات

<sup>1</sup> جورج طرابيشي، شرق وغرب، رجولة وأنوثة، ص 73.

تطلب جانين منه أن يسمح لها بزيارة خالتها لقضاء عطلة الميلاد، فيحس بفراقها وتضيق به باريس ويشعر بثقل غيابها وبعزلة تخنقه من كل الجوانب، يعيش بطل الرواية مع الفتاة جانين أجمل لحظات حياته، تمر الأيام وتأتي عطلة فصل الصيف ويقرر قضاءها مع أسرته، ولما عاد إلى منزله شعر أن غرفته أصبحت أكثر ضيقا مما كانت عليه وأنها لا تتسع لأحلامه، تبعث جانين برسالة تخبره فيها بحملها الذي جاء ثمرة حبهما، ولكنه يتملص من المسؤولية مدعيا أن حملها ناجم عن علاقتها الغير طاهرة مع أصدقاء آخرين.

إن الحي اللاتيني يرسم للبطل الموثنة فيها جانين مونتيرو صورة هي آية في النبل، ومع ذلك فإن جانين مونتيرو ملوثة بدنس خطيئة أصلية لا غفران لها، فهي " لم تكن بكرا" حيث عرفها بطلنا، وإنما سبق لها حين " كانت مخطوبة " أن سلمت جسدها إلى خطيبها، في ساعات الضعف البشري.

إن الشرق المتأخر، الأبوي، التقليدي، الحنبلي، يكمن كله في هذه العبارات الكلية فأنبل رسالة للمرأة أن تكون " بكرا" وحرام عليها تسليم جسدها إلا لبعلمها في الشرع<sup>1</sup>. يصور سهيل ادريس في هذه الرواية فكر الرجل الشرقي والمخيلة الثقافية التي تتدرج تحتها صورة التقصير في حق المرأة

### عصفور من الشرق لتوفيق الحكيم:

نذكر في رواية أخرى لا تكاد تختلف عن سابقتها، وهي رواية نعتبرها من أروع روايات توفيق الحكيم رواية عصفور من الشرق، والتي يتضارب فيها الصراع بين الذكورة والأنوثة بين شاب من الشرق وفتاة فرنسية من الغرب، حيث نجد أن بطل الرواية " محسن " الفتى الشرقي، الذي أرسله والده إلى باريس ليدرس القانون، فكرس أيامه لعبادة أبولون،

<sup>1</sup> جورج طرابيشي، شرق وغرب، رجولة وأنوثة، ص 84.

عاشق، وتلك التي يحب ملكة، ولكنها ملكة فريدة من نوعها، فعرشها شباك تذاكر، ورعاياها جمهور رواد مسرح الأوديون<sup>1</sup>.

فقد أحب "محسن"، "سوزي" حبا عظيما جعله سجين عالم الخيال، ورغم أنه لم يكن يعرفها إلا صورة وشكلا، أعطاه مرتبة عظيمة مثالية في الأخلاق، فملأت خياله وفكره، ورسم لها بذلك صورة ملكة تربعت على عرش قلبه ملكة في قصر من قصور " ألف ليلة وليلة " والناس حاشيتها، وهي فتاة غير عادية من طراز خاص، يقول في وصفه لها " أراها في شباكها تشرف على الناس، بعينين من فيروز، وهم يمرون أمامها الواحدة تلو الآخر " <sup>2</sup>.

وهذه القيمة التي أعطاه محسن لسوزي لا تدل إلا على صدق وإعجاب وإخلاصه لها، فهو شرقي وفي لا يعرف الخداع، فضل العيش في عالم الخيال لا لشيء إلا لتعظيم مكانتها فالمرأة العليا في سباق الخيال، أما على أرض الواقع والحقيقة فلن يكون مصيرها إلا التناثر حطاما وشظايا جديدة بالرثاء <sup>3</sup>.

وهو بذلك لا يحدب علاقات الفتيان بالفتيات في الشوارع والطرقات فالمشاعر والعواطف يجب أن تحفظ في الصدور ولا تتشوه بالواقع.

ارتقت مرتبة سوزي عند محسن لتعادل محبته للفن، إنها الفن، فهي والفن شيء واحد، حتى أنه إذا أراد تقديم هدية لها جعل منها متفردة لا تليق بها الزهور والعطور بل هي أرفع مستوى من ذلك، ويقدم لها ببغاء، ولقد كان كل الهدف من هذه التقنية غير الاعتيادية في الغزل أن يقنع محسن نفسه والقارئ معه بأن سوزي ديبون امرأة غير عادية، ولذلك ما أن توتى تلك التقنية أولى ثمراتها ويتمكن محسن من اقتطاف أولى القبلات من معبودته <sup>4</sup>.

<sup>1</sup> جورج طرابيشي، عقدة أوديب في الرواية العربية، دار طليعة، بيروت، ط2، 1987، ص 89.

<sup>2</sup> جورج طرابيشي، شرق وغرب، رجولة وأثوثة، ص 22.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 23.

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ص 25.

وتمر أسبوعين على علاقتهما ويدرك محسن حقيقتها بعد أن كان لا يتعامل معها إلا موشاة بأدرب الخيال. هكذا " يكشف " محسن حقيقة سوزي دييون عاملة بسيطة في شباك قطع التذاكر، لا تمنع في إقامة علاقة مزدوجة مع رب عملها حفاظا منها في أغلب الظن على مصدر رزقها " <sup>1</sup>.

وفي تلك اللحظة فر محسن من فضائه الخيالي إلى العالم الحقيقي، ليصنع صفة أدرك خلالها أن سوزي ليست إلا فتاة ككل الفتيات، وعاملة كآلاف العاملات، فتتكسر الصورة الخيالية التي لطالما أعطاها للمرأة، يصور لنا توفيق الحكيم هذه الرواية شخصية محسن كفكر عربي شرقي، داخل مجتمع غربي فرنسي.

ومن خلال تحليلنا للروايات السابقة التي اخترناها كمقتطفات لطبيعة الصراع بين الذكورة والأنوثة نلاحظ بأن هناك عقدة ذكورة عربية هي التي تأجج الصراع.

---

<sup>1</sup> جورج طرابيشي، شرق وغرب، رجولة وأنوثة، ص 26-27.

الفصل الثاني  
٤ ٤ ٤ ٤ ٤ ٤ ٤ ٤ ٤ ٤

تجلي العبات النصية في رواية

"فخاخ الراححة"

## الفصل الثاني: صراع الذكورة والأنوثة في روايتنا عزازيل

ملءخل : حول اشكال الصراع وانواعه في الرواية

أولاً: أو كنافيا المرأة والجسد.

ثانياً: المرأة والعقل " هياتيا "

## ثالثاً : مرتاً، الحب والزواج "الرهبنته"

## مدخل حول أشكال الصراع في الرواية:

إذا قلنا بأن الشخصية هي العمود الفقري للعمل الروائي، فالصراع هو المحرك الرئيسي للأحداث التي تصنع العمل الدرامي (الروائي) فلا يمكننا من هذا أن نتصور عملاً روائياً من دون هذا العنصر الهام، فبالرغم من الاختلافات التي نجدها في وجهات النظر حول مفهوم هذا العنصر، إلا أننا نجدها تشترك معظمها في دلالة واحدة، ألا وهي أن الصراع هو ذلك الخلاف الموجود بين قوتين متعارضتين أي طرفين متضادين.

ولنوضح ما قلناه نستدل على هذا القول "الصراع" من الفعل اللاتيني *Configere* الذي يعني الاصطدام، وهو مفهوم عام يقتضي علاقة صدامية جسدية أو معنوية بين طرفين أو أكثر، وهو مبدأ يحكم العلاقات بين الأفراد والمجتمعات موجودة ضمن الذات البشرية<sup>1</sup>.

فهذا التعريف يربط الصراع بتلك العلاقات الصدامية هنا تلك الاختلافات التي تنشأ بين الطرفين يكونان متعارضين من وجهة نظر أو فكرة معينة، كما هو الحال بالنسبة لهذا التعريف "مناضلة بين قوتين متعارضتين، ينمو بمقتضى تصادمها الحدث الدامي"<sup>2</sup>، فهذا التعريف يجعل من الصراع العنصر الرئيسي والفعال في نمو الحدث الدرامي، وهذا من خلال ذلك الاختلاف الموجود بين قوتين متعارضتين مختلفتين.

وبهذا أصبح الصراع في الرواية العربية كانت أو الغربية حبكة فنية، إذ لا تكاد تخلوا أي رواية من هذا الصراع، وقد نجد في الرواية الواحدة تجسد عدة صراعات مختلفة ومتعددة على حسب ما تقتضيه رؤية الكاتب (الروائي) في الرواية، ولعل هذا ما نلتمسه من خلال دراستنا لرواية عزازيل التي تعكس العديد من الصراعات والنزاعات وسنحاول أن نسلط الضوء على أهم الصراعات الموجودة في هذه الرواية.

<sup>1</sup> عبد القادر القط، من فنون الأدب المسرحية، دار النهضة العربية، بيروت، 1978، ص 53.

<sup>2</sup> قاسم محمد كوفي ومحمد يوسف نصار، نظريات الفن والفتوى الموسيقية والدرامية نظرة جديدة عالم الكاتب الحديث،

عمان، ط1، 2008، ص 53.

## 1. صراع نفسي داخلي:

لو جئنا إلى المنظور النفسي الذي يشير إلى مفهوم الصراع بأنه موقف يكون لدى الفرد فيه دافع للتورط أو الدخول في نشاطين أو أكثر لها طبيعة متضادة تماما<sup>1</sup>. ولعل من بين الصراعات الموجودة في هذه الرواية نجد صراع داخلي بين بطل الرواية هيبا والشيطان عزازيل، فكما هو معروف فالشيطان هو العدو اللدود للإنسان فهو يجرب به دائما إلى الشر ويرمي به إلى الهلاك.

وإن صراع الإنسان مع الشيطان هو صراع أزلي بدأت حكايته مع آدم عليه السلام وأما حواء اللذان أغواهما (الشيطان) وأخرجهما من الجنة نجد في قوله تعالى { فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ }<sup>2</sup>.

غير أن في هذه الرواية نلاحظ أنها أخذت مجرى معاكس، فإذا كان من مهام الشيطان أن يجعلنا نكتب فهذه المهمة جليلة وجميلة وعلينا امتداحه فيها فالشيطان في هذه الرواية هو المحرض على الشر الجميل الذي سيخرج "هيبا" من صمته ليحكي لنا حكاياته الكثيرة عن الدين والظلم والإنسان والحب والفلسفة وغيرها من الأمور الأخرى وكان عزازيل هو الذي يحرض هيبا على الكتابة تحيا يا هيبا لتكتب فتظل حيا حتى حين تموت في الموعد وأظل أحياء في كتابتك أكتب يا هيبا، فمن يكتب لن يموت<sup>3</sup> وقد كان الشيطان في هذه الرواية، يعين هيبا على استكمال ما بدأ من كتابة أريد أن تكتب يا هيبا. أكتب كأنك تعترف أكمل ما كنت تحكيه<sup>4</sup> فعزازيل هو الذي أضاء شعلة الكتابة في روح هيبا.

<sup>1</sup> منير بدوي مفهوم الصراع مجلة دراسات مستقلة جامعة ريوه العدد الثالث 1997، ص 36.

<sup>2</sup> الآية 36 من سورة البقرة.

<sup>3</sup> يوسف زيدان عزازيل دار الشروق، القاهرة، مصر، ط1، 2008، ص 450.

<sup>4</sup> المصدر نفسه، ص 125.

لقد كان عزازيل في هذه الرواية شيطان الكتابة فهو كان يريد أن ينزع الستار عن الأفكار والأحاسيس التي كانت تراود هيبا ويجعل من الكتابة متنفسا يخرج من خلاله عن مكبوتاته ومشاعره، متى يا هيبا ستكتب الكتابة الحقة وتكف عن المراوغة وتتغنى بالألم الذي فيك؟ لا تكن مثل ميت ينطق عن ميتين ليرضى الميتين ! قل الحق الذي بقلبك <sup>1</sup> " ترى العديد من الدراسات النفسية أن الكتابة شفاء للنفس من كل ما يحتمل في صدره وخاصة إن كان يمتلك أدواتها.

إن رواية عزازيل تعكس الصراع النفسي داخل الذات الإنسانية واعتبر زيدان يوسف أن لكل نفس شيطانها الذي يسكنها وهذا ما قاله عزازيل لإبليس أنا لست حولك أنا فيك " <sup>2</sup> غير أن الشيطان في هذه الرواية كان ليس الشيطان الذي ألفناه، بل هو محب لشخص نفسه باحث له عن المتعة، ساخر من إيمانه، هل تريد أن تحصل عن إيمان بالمسيح أو لم تدرك أنني ما عدت مؤمنا مثلما كنت ... هل تغريني بالمفسدات ؟ " <sup>3</sup>.

فالشيطان هنا ليس سوى حوار العقل البشري ذاتيا، وهذا الحوار لم يتوقف على امتداد الرواية قاصدا به الكاتب التأكيد على شقاء الإنسان وتردده في كل ما يفعل إلى جانب إصراره على فعل لم يفعله ففي هذه الرواية عزازيل نلاحظ اقتتال مضمن داخل النفس بين قيود الدين وبين الحرية والسلام.

<sup>1</sup> المرجع نفسه ، ص 453.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص 429.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ص 426.

## 2. صراع خارجي ديني:

على الرغم أن لفظ الدين يصعب تعريفه فمن المعروف أنه يشير عموماً إلى المعتقدات والممارسات التي يعبر الإنسان من خلالها عن فهمه القوى الإلهية أو البعد الروحاني في الوجود الإنساني ويكون منها الاستجابات التي تتناسب مع ذلك الفهم، وعند مناقشة الدين في العالم الغربي ما زال هناك ميل إلى التركيز على الإيمان بكيان إلهي واحد متعال ومذكر هو الخالق والحافظ لحياة البشر، إلى جانب التركيز على الهيكل المؤسسي المتوافق مع هذا الإيمان وهو الكنيسة المسيحية<sup>1</sup>.

لقد كان الصراع الديني في هذه الرواية بين طرفين متعارضين ومتناقضين فكرياً وعقائدياً وكل طرف محايد للآخر، فوثقة الرواية لذلك الصراع الأبدي بين الدين في صياغته الكونية التي تسعى للإستثمار في الدين من أجل بسط السلطة السياسية والفلسفية كصوت للعقل، فهذا الصراع الذي لازم الإنسان منذ الأحقاب البعيدة وما زال يعيشها حتى الساعة، فالخلاف الديني لا ينتهي حتى ينتهي مع الإنسان، فقد عكس لنا زيدان طبيعة الصراع الديني بين المسيحية والوثنية، فلجأ إلى استعمال بعض الشخصيات وبعض الأماكن التي يبين من خلالها هذا الصراع فتصل هذه النزاعات والخلافات بين الطرفين إلى العنف وتصل حتى القتل، ولعل البداية الأولى لهذا الصراع كانت مع مقتل أب هيبا من طرف المسيحيين يقول "هيبا" فقد تربص بنا عوام من المسيحيين عند المرسى الجنوبي القريب من بوابة المعبد ثم هرولوا نحونا كالأشباح فرت من قعر الجحيم أن نفيق من هول منظرهم ... سحبوا أبي من قاربه وجروه على الصخور ليقتلوه طعنا بالسكاكين"<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> سارة جامبل، النسوية وما بعد النسوية، ترجمة أحمد الشامي، الجزيرة، القاهرة، ط1، 2002، ص 233.

<sup>2</sup> يوسف زيدان، عزازيل، ص 51.

ونفس المصير لفته كل من أوكتافيا وهيياتيا اللتان تمثلان صورة اللوثنية فقد انتقم منهم المسيحيون بأشع الطرق وأحرقها يقول هيبا "فقد حاولت المرأة أن تقوم فضربها أحدهم على رأسها بخشبة عتية بأطرافها مسامير فترنحت المرأة وسقطت من فورها على ظهرها"<sup>1</sup>.

حول غزال رضيع "<sup>2</sup>، فقد كانت تمثل لهم العقل والفلسفة للوثنيين فأرادوا من خلالها قتلها وحرقتها والقضاء على مصادر العلم والمعرفة بالنسبة للوثنيين، فتجسدت المسيحية في هذه الرواية بالعنف والجهل وسفك الدماء، وهذا في نظرهم نصرة لدين المسيح، فراحوا يتجبرون ويطغون في البلاد فكانوا كالجراد يأكلون كل ما هو يانع في المدينة ويملئون الحياة كآبة وقسوة<sup>3</sup> فأرادت (الكنيسة) أن تتسلط على العباد وتحكم قبضتها على الديانات الأخرى، لتجعل من نفسها مركزا ومن غيرها هامشا تتحكم فيه وتسيطر عليه، فبالرغم من أن الكنيسة هي مكان الرب للتسامح بينما يطرد منها اليهود والوثنيون، بل يتم اجبارهم على بناء خيم خارج الإسكندرية وهذا يدل على التميز العنصري على أساس عقائدي واضح ولا غبار عليه.

### 3. صراع داخل الكنيسة:

تمثل الكنيسة بالنسبة للمسيحيين مكان يتواجد فيه الرب ويعبد فيه، غير أن في هذه الرواية كانت الكنيسة مركزا للصراع وبؤرة للتحويلات والخلافات وذلك على خلفية المتغيرات حول طبيعة المسيح، وكان الصراع يتأرجح بين البابا كيرلس والمبجل نسطور والراهب أريوس، فكل واحد من هؤلاء كانت له وجهة نظر خاصة حول طبيعة المسيح فأريوس أراد أن تكون الديانة لله وحده، لكنه ترنم في زمانه بلحن غير معهود من مثله معترفا بسر

<sup>1</sup> يوسف زيدان، عزازيل، ص ، ص 196.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص 195.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ص 140

الظهور الإلهي في المسيح وغير معترف بألوهية يسوع معترفا بأن يسوع ابن مريم الموهوب للإنسان وغير معترف بشريط الله الواحد<sup>1</sup>

أما نستور فيقدم نفسه في هذه الرواية باعتباره وجهة نظر مسيحية تبنى على قاعدة ذهنية أساسها مبدأ التوافق بين الاعتقاد الديني والتفسير العقلي للأمور الدينية وكانت معتقداته حول طبيعة المسيح " أن يسوع إنسان وتجسده هو مصاحبة بين الكلمة الابدية والمسيح الإنسان ومريم هي ام يسوع ولا يسمح ان تسمى والدة الإله ، ولا يجوز ان يقال لها ثيوتوكوس " <sup>2</sup> .

وكيرلس يمثل العالم المتسلط والظالم وهو يرى ان الله تجسد بكامله في المسيح من يوم صار ببطن أمه وعليه، فإن الانفصال في المسيح بين الألوهية والإنسانية فهو إله ورب كامل تام لا نسوة له مستقلا عن اللاهوت وهذا ما أكده في الرسالة الأخيرة التي بعثها إلى المبجل نستور.

يقول في رسالته بأن " الكلمة تتحد بالجسد أقنوميا، ولذلك نسجد لابن واحد الرب يسوع المسيح، فلا نجزئ ولا نفرص الإنسان عن الله ... المسيح واحد وابن ورب ... فهو إله الكل ورب الجميع وليس عبدا لنفسه، ولا سيذا لنفسه " <sup>3</sup> .

ولعل ما زاد من حدة هذا الصراع وألغى هي الرسالة التي بعثها كيرلس إلى نستور الذي طعن وشكك في عقيدته حول طبيعة المسيح مما جعل من المبجل نستور في غضب شديد ويقول إن لم نغضب من أجل عقيدتنا ... تسلل الشيطان إلى قلب هذه الديانة وروحها <sup>4</sup> وقد كانت في الرسالة استفسارات خانقة مستترة كتبها كيرلس بخصوص ما نقل إليه عن

<sup>1</sup> يوسف زيدان، عزازيل، ص 67.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص 305.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ص 301.

<sup>4</sup> المصدر نفسه، ص 304.

نسطور من إنكار لعقائد عوام المسيحيين وخواصهم، خاصة اعتقادهم أن العذراء مريم هي والدة الإله !<sup>1</sup>.

كان نسطور يقول أن ظهور الشمس من كوة لا يجعل الكوة شمسا<sup>2</sup>، فهو يريد أن يقول من يظهر فيه الطهر والقداسة يظل إنسان وليس قدوس، فالمسيحية لم تتبالغ وتعتبر الكوة شمس، ولكننا ننظر إلى أصل الضوء وهو الشمس التي لكي تستتير بها يجب أن يكون لها صفة مركبة متجسدة في الضوء وإلا فلن ترى النور.

وما يوصل الصراع إلى حده الأقصى حينما يطالب كيرس عقد اجتماع في أفسس لرؤساء الكنائس في العالم للنظر في عقيدة الأسقف نسطور وذلك بمباركة من الإمبراطور وبموافقته، ويبدو أن أتباع كيرلس قاموا بحملة تعبئة واسعة تحضيرا لهذا الاجتماع المصيري، فكان حضورهم قويا ووازنا في الصراع بين وجهتي نظر المتصارعتين.

وكان الجميع يتوقع أن يكون هذا الاجتماع عاصفا وحاسما ومصيريا وبالفعل فقد تمخض الاجتماع الاستثنائي هذا عن قرارات حادة وانتقامية، منها إقصاء وجهة نظر نسطور المتسامحة والمتسمية بالعلاقانية والواقعية بعد أن تخلى عنه الأساقفة، عد أسقف أنطاكية فيما لم يشأ الإمبراطور وبابا روما أن يخضعا لأتباع التيار الديني المتطرف الجارف القادم من الإسكندرية ولما رأى الأسقف ريوالا والذين معه، أن كفة الميزان تميل لصالح كيرس انقلبوا على نسطور وأدنوه، وقد صاغ المجمع قانونا جديدا للإيمان<sup>3</sup>.

فهكذا تمكن كيرليس الظالم على هزم نسطور والانتصار عليه وقلب الكفة لصالحه.

<sup>1</sup> يوسف زيدان، عزازيل، ص 299.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص 307-308.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ص 446.

أما بالنسبة للآريوس فقد استدعي إلى القسطنطينية بعدما كان منفي منها من طرف الاسكندريون من أجل حل النزاع اللاهوتي الذي أغضب الإسكندرية، لقي آريوس مصيره المفجع ومات مسموما<sup>1</sup>.

يعتبر الصراع داخل الكنيسة في هذه الرواية صراع وجودي لا صراع أفكار وآراء، فنجد في هذه الرواية لا أحد ينتصر سوى من يؤمن بالعنف، بينما يكون أنصار الإقناع بالحجة والبرهان والحوار، قد أصبحوا أضحية على مذبح الحرية.

#### 4. صراع بين العلم والدين:

يمثل هيبا الشخصية المحورية في الرواية التي تمثل قلق السؤال ما وراء سياجات الكهنوت ويمثل أيضا غربة جوهر الإنسان في عالم تنهشه الصراعات والمكائد، واغتراب الذات المنفية داخل جسد ليس ملكه ويصادر منه كل ماهو جميل باسم فهم مسطح للدين كما تمليه عقول اللاهوتيين، فهيبا راهب من صعيد مصر دخل إلى الرهبة ليدرس الطب ويمارسه فكرس حياته للرهبنة والبحث عن العلم والمعرفة والنهل في كتب الطب وبحوره الواسعة، مما أتاح له الطريق أن يكون طبيبا يسهر على مساعدة الناس فاشتد الصراع لهيبا هل يسلك طريق الرهبنة واللاهوت ويسخر نفسه للرب وخدمة الكنيسة أو يسلك طريق الطب والمعرفة فكان كمثل اليهود في سنوات التيه العظيم بصحراء سيناء<sup>2</sup>، فاحترار أي الطريقين يسلك أو يجمع بين حياة الرهبنة وعلم الطب، فقررت في نفسي شيئا لم أفعله قط سأدرس الرياضيات مع الطب مع اللاهوت، سوف أطلب مبادئ الهندسة والحساب أولا ثم أتخصص فيهما وأبرز<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> يوسف زيدان، عزازيل، ص 317.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص 203.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ص 173.

غير أن رغبته الملحة حول معرفة أصل الديانة المسيحية جعلته ينزح إلى حياة الرهبنة ويكشف الأفتعة التي يتستر عليها الرهبان باسم تقويم إنسانية الإنسان غير أن في أعماقهم القمع والظلم وحتى القتل من خرج عن قانون الإجماع كما حدث مع هيباتيا صوت الحكمة والمعرفة والخير والجمال.

تجسدت شخصية هيبا في هذه الرواية الذي يحمل لواء العلم والحكمة والمعرفة من جهة ومن جهة أخرى يحمل الرغبة الملحة لإرجاع سلطة الدين إلى السماء.

### خيانة الأم للأب:

يقدم لنا يوسف زيدان في هذه الرواية صورة المرأة الأم في ثوب مغيار غير الذي ألفناه واعتدنا عليه، فيعكس صورة المرأة ويلبسها ثوب المرأة (الأم) الخائنة لزوجها (الأب) فقد صور المرأة على أنها ماهرة مخادعة تميل بطبعها إلى اللبونة، مثل القطة التي تتظاهر بالضعف والنعومة بينما هي في الحقيقة شيطان المكر والخديعة<sup>1</sup>، فتعكس هذه الصورة في ذهن الإبن "هيبا" وتشكل له عقدة نفسية منذ الصغر ولم تفارقه حتى في الكبر، فصارت تراوده الشكوك من كل النساء اللواتي يتعرف عليهم وعاشرهن، فالحادثة التي شاهدها في خيانة أمه للأبيه تجعله لا يثق في النساء فكانت هذه الحادثة بمثابة العاصفة التي تهب على الأشجار فتسقط أوراقها كيف ولا وهي التي تزوجت بقاتل أبيه يقول هيبا " فقد أخبرتها بعلمي بأنها وشت بأبي لدى أقاربها من حمال أهل الصليب ... جريب من أمامها، ولم تستطع اللحاق بي، ولم أرها بعد ذلك اليوم قط... بكائي الحار يوم علمت بزواجها من أحد أقاربها الذين قتلوا أبي " <sup>2</sup>، هذه الخطيئة التي ارتكبتها الأم جعلت من الإبن "هيبا" يعيش في كآبة نفسية .

<sup>1</sup> محمد يوسف سواعد: المرأة في الأدبيات العربية المعاصرة، مصر أنموذجا، دار زهران للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2010، ص 88-89.

<sup>2</sup> يوسف زيدان، عزازيل، ص 84.

مضطربة لا تمحو من ذكرياته " كيف تتمحى الذكريات ... أمي ... كيف ارتضت الزواج بواحد من القتلة، كان أبي رجلا طيبا ...أمي التي تنام كل ليلة في حضن رجل أئمة يداه إنني أكرهه وأكرهها <sup>1</sup> " ، ومن هنا نشأ الحقد والحرمان في نفس هيبا الذي بات لا يحمل أي أحاسيس اتجاه أمه من عطف وحنان وصار يعكس كل الأحاسيس والعواطف لأبيه فالأبوة روح ربانية سارية في الكون <sup>2</sup>

لقد أعطى يوسف زيدان صورة سيئة للأُم لكن ربما في تأويلها العميق يريد أن يميظ اللثام عن العنف الديني الذي يزعزع أركان الأرض ويشتت أسرها تحت سياسة التبشير بدين المسيح.

أولاً: أكتافيا " المرأة والجسد "

بداية الرواية وتدشين الصراع:

لو جننا إلى مفهوم الجسد في مفهومه الجامع يعني الحقيقة الفيزيائية والعقلية التي هي نحن أي جسدنا والمراد بالجسد هو ذلك الكائن الحي، بما هو منبع الوعي والفكر والحركة، أنه ينبع منه كل شيء غامض لأشكال الفكر وأشكال الوعي " <sup>3</sup>.

وإن حقيقة الجسد يتمثل في كونه يحتل مكانة هامة في حياتنا اليومية، إنه المبدأ المنظم للفعل والهوية التي نعرف وندرك ونصدق من خلالها، وهو أيضا الواجهة التي تكون نوايانا الأكثر سرا، ليس غريبا أن نلح في الحديث عنه ونتغنى بجماله، وننصت إليه في قوله أو في فعله وفي جده وهزله في سكناته وحركاته وفي إيماءاته وفي لغته <sup>4</sup>.

<sup>1</sup> يوسف زيدان عزازيل، ص 119، 179.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص 265.

<sup>3</sup> سمية بيدروح، فلسفة الجسد، التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2010، ص 12.

<sup>4</sup> سعيد بنكراد، السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها، منشورات الزمن، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب،

2003، ص 19.

يشكل الجسد عنصرا تأسيسيا لمفهوم الذات أو الشخص في مختلف تمثيلات الكائن البشري، سواء كانت تمثيلات ذات طابع ديني أو بيولوجي أو ثقافي فكل ثقافة تؤسس لمفهوم بيولوجي عن الجسد، ليبقى الجسد في الأخير في مختلف الثقافات البشرية ذا تمثيل أنتروبولوجي وديني خاص نابع من المخيال الجمعي للإنسان، غير أن جسد المرأة غالبا ما يكون سبب للفتنة والخطيئة وهذا ما لحظناه في هذه الرواية التي يكون فيها الجسد هو السلاح القوي الذي تستعمله المرأة في اصطلياد فريستها(الرجل).

### 1-الحدث وتدشين الصراع:

لقد شكل موضوع المرأة سمة أساسية في هذه الرواية عبر صفحاتها، فكانت المرأة سبب للفتنة وسبب للحروب تارة أخرى سبب للسعادة ومنبع للوحي والإلهام، ولعل أول امرأة ذكرت في متن هته الرواية هي " أوكتافيا" التي لعبت دور المرأة المثقفة المحبوبة والجميلة فمثلت بذلك سحر الانوثة وصفاءها التي ذاق معها "هييا" حلاوة الحب والطمأنينة وجمال الحياة يقول " هييا" كنت كأني في حلم بديع، لا أحب أن أصحو منه " <sup>1</sup>.

فكانت البداية الأولى التي جمعتهما أما شاطئ البحر في الإسكندرية، الذي كاد أن يهلك فنتقذه " أوكتافيا" من غربته وتيهه وحرمانه، فيدخل عالم اوكتافيا كمعشوق يكتشف محارب الحب على يد إمراة تشبه الملائكة الذين تزخر بهم كتبة اللاهوتية، ويجد أيضا كنوزا من الكتب التي كان يجهل وجودها، فيجد عندها كل ما كان يحلم به الحب والجمال والعلم والمعرفة، فأوكتافيا هي صوت العشق المتدفق الذي سيحتضن "هييا" الذي لم يعرف المرأة إلا من خلال شكلها السلبي " صورة الأم الخائنة " وصورة حواء التي أخرجت آدم من الجنة فيجد صورة مغايرة عند " أوكتافيا"، فيحاول أن يسترجع هويته الأخرى كمستلزم لقضاء وطراد تام كما تقوم عليه قوى الدين السياسي، الذي يحرم على الراهب مخالطة النساء ويحرم

<sup>1</sup> يوسف زيدان، عزازيل، ص 105.

عليه حتى الزواج، فعالم أوكتافيا كان بمثابة الجنة "لهيبا" التي لم يعمر بها طويلا، " كنت آدم الذي يوشك أن يخرج من الجنة لأنه يوشك أن يدخل الجنة فيأكل ثمانية من الشجرة " <sup>1</sup>.

لقد كان عالم أوكتافيا بمثابة الفردوس في موازاة بعالم الرهبنة الكئيب والمليء بالتعاسة فأوكتافيا كانت كشمعة من النور أشبعت كل غرائزه بعد الجوع الذي كان يعاني منه يقول " شبت حتى ظننت أنني لن أجوع بعدها أبدا " <sup>2</sup>.

فيستطلع على المعرفة والمتعة كغذاء للجسد والروح بديلا عن محدودية صومته الضيقة جدا والتي لا تتسع لتمطيط جسده النحيل، فإن دل هذا الضيق على شيء فإنما يدل على ضيق الأفق وهامش التفكير فيجد " أوكتافيا " التي تضم كل جراحه وتضمدها فتتسيه كل الأوجاع والمحن التي عاشها من فقد وحرمان، ولقد كانت بانتظاره مدة طويلة حسبما قالت " تريد أن تنظر فيا طويلا، لأنها انتظرتني طويلا " <sup>3</sup> فهي كانت تتلمس على الشاطئ أن تتحقق نبوءة احدى الكاهنات التي كانت تقول سوف يرسل الإله بوسيدون من البحر رجلا تحبيه ويحبك ويملاً أيامك بالفرح.

إن أوكتافيا آمنت بنبوءة الكاهنة وكانت ترى أن هيبا هو الرجل الذي تحدثت عنه تلك الكاهنة وهو فارس أحلامها الذي لا طالما انتظرتة، فلقاتها حسب أوكتافيا لم يكن صدفة تقول أوكتافيا "كنت أظن أن رجلي الآتي سيكون بحارا يأتي أحد المراكب، لكنني وجدتك محمولا على أجنحة الإله العظيم وأمواجه " <sup>4</sup> فيجد هيبا عندأوكتافيا أشياء كثيرة كالذكاء والجمال والثقافة، فكانت بمثابة نصفه الضائع الذي كان يبحث عنه.

<sup>1</sup> يوسف زيدان، عزازيل ، ص 105.

<sup>2</sup> المصدر نفسه ، ص 102.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ص 102.

<sup>4</sup> المصدر نفسه، ص 117.

يشكل الجسد مصدر الغواية والإغراء بالنسبة " لهيبا" الراهب الذي تتشكل نظرتة وحكمه على الجسد بالفتنة والخطيئة التي توقع الإنسان في معصية الرب فهيبا متأثر بالتيار الكنيسي الرهباني الذي ينتمي إليه، ولكنه بمجرد أن يلتقي بأوكتافيا التي تغريه وتجعله يدوس على القيم والقوانين اللاهوتية، فأوكتافيا امرأة جميلة ومثيرة ذات بشرة بيضاء وتتميز بجسد جميل ملفت للأنظار وكان لباسها المكشوف يزيدا بهاءا وجمالا وذلك في حد قوله " جلجت ضحكة من ناحية الصخور القريبة، فنهضت من استلقائي على ظهري، نظرت إلى جهة الصوت مذعورا فرأيت امرأة بيضاء في ثوب إسكندري مكشوف الصدر والذراعين ... أقبلت المرأة متمائلة ... "1.

فكانت أوكتافيا تسحره بجمالها وتغويه إلى المعصية يقول هيبا كانت تتمايل في مشيتها كأنها خيط بحور، فهل كانت تتعمد يومها إغوائي أم أنها طبيعة النساء في الإسكندرية؟<sup>2</sup>.

لم يستطع هيبا مقاومة غوايات اوكتافيا فيجد نفسه غير قادرعلى تحرير ذاته التي بين أحضان اوكتافيا " فكانت يدها تغوص في فنتتهك أرضي المستسلمة كلها من أصابع قدمي إلى سائر جسمي المتكوم في حضنها "3.

فيجد هيبا عند أوكتافيا كل الدفئ والحنان الذي لم يذق طعمهما منذ أن مات أبيه بالإعتناء والإهتمام المسلوبان منه يجدهم عند أوكتافيا يقول وإنما الاهتمام الذي توليه أوكتافيا لي، فلم أكن قد اعتدت عليه منذ مات أبي، أن يعتني به أحد، مثل ذلك الاعتناء الحنون الذي غمرتني به أوكتافيا أيامها "4. فعلى الرغم من أن هيبا كان راهبا، إلا أنه سمع لنداء ذاته ولشهوته ورغباته المكبوتة تحت ستار الرهبنة، فتسلبه أوكتافيا الى فراشها فيمارس معها

<sup>1</sup> يوسف زيدان، عزازيل، ص 97.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص 99.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ص 104.

<sup>4</sup> المصدر نفسه، ص 137.

رغبته الجنسية التي لم يعرفها إلا مع أوكتافيا عند دخولنا عرفتها، أسجرت أوكتافيا قنديلا معدنيا شع نوره في جوانب الغرفة، وأنارت هي روعي بقبلة أبهتتني وأشعلت اللهب بباطني، كنت قبلها أعرف لفظ القبلة من دون أن أرى ماهي...أوكتافيا.. وهي تحتضني قالت بلفظ لين إنها تشم في رائحة البحر التي تعشقها<sup>1</sup>.

كانت أوكتافيا لديها قوة عظيمة في إغراء هيبا الذي لا يعرف الحب و لم يمارسه أبدا في حياته لذلك نرى أن أوكتافيا هي التي تتحرش به فيجد نفسه مقلوبا على أمره فيقول أدارت وجهي نحوها واقتربت بوجهها لتقبلني قبلة حريرية كانت ساعتها وافية بمطلبها وغير موفية بمطلبي، كان تنوره قد فار، واشتعلت نار غوايتها الأسرة بباطني...<sup>2</sup>

وفي موضع آخر يقول ما لت بوجهها بل جسمها كله، ناحيتي حتى أعادتني إلى استلقائي الأول بارتمائتها المتوهجة بالاشتياق كنت أظن قبلها أن الرجل إذا خلا بالمرأة فإنه يعتليها لكن الذي جرى لحظتها هو أنها اعتلتني ... ليلتنا ... كانت حافلة بالشهوات المحرمة التي أهبطت آدم من الجنة "<sup>3</sup>.

ويشير يوسف زيدان طوال هذا الرق والرق الذي يليه مشاهد الحب والعناق والتقبيل بين هيبا وأوكتافيا، وينسج معها قصص الحب والغرام والجنس.

## 2- تجربة الحس والرؤية الوجودية :

لقد بدى هيبا في الكثير من الأحيان تراوده الأفكار والأحاسيس فيشعر بالذنب وتأنيب الضمير واستياءه لما يحصل بينه وبين أوكتافيا من ملذات ومحرمات، ولكونه راهب والراهب لا ينبغي عليه أن يقع في تلك المحرمات عليه أن يسعى جاهدا لمحاربة رغبته النفسية وشهواته الظالة، فيجد نفسه محاصرا أي طريق يسلكه هل يواصل طريقه مع أوكتافيا

<sup>1</sup> يوسف زيدان، عزازيل ، ص 108-109.

<sup>2</sup> المصدر نفسه ، ص 111.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ص 112-113.

وعالمها المليئ بالحب والشهوات أو يرجع إلى بداية مساره نحو البحث عن حقيقة الدين المسيحي والنبوغ في الطب، فيركب في قارب الضنون وهول الأحاسيس والعواطف، ولا يعرف كيف الخلاص يقول هيبا وقد اجتاحني شعور جارف بأنني آدم الذي أغوته امرأته وخذعه عزازيل " <sup>1</sup>.

فيدرك أنه منغمس في ملذات الدنيا ومقصرا في الآخرة، فكلما حاول أن يجمع أنفاسه وينزع القلق من قلبه ويخبر أوكتافيا بحقيقته التي يعلم مصيره لو عرفت برهبنته، غير أن أوكتافيا تجرفه بغواياتها فتغرقه في هول المعاصي والذنوب، يقول لقد أسقطتني معها في بحر الخطايا، فكيف كنت سأنجو من الغرق؟ وهي تريدني أن أمضي العمر معها ... كيف؟ وهي لا تعرف الإيمان القويم، ولا تعرف أنني من أهل الإيمان ... <sup>2</sup>.

إن الشعور بالخطيئة تتأجج في نفس هيبا فتعصره الأفكار والتساؤلات: إلى متى سيدوم هذا الحال المخايل ... هذا التعيم المؤقت والخداع؟ لست مخادعا بطبيعتي، ولم أكذب طيلة عمري، فلماذا أظللها وأضل معها منذر رأيتها؟ الرب يراني ويراهها ولن يغفر لي ما أنا فيه، لن يجيرني من عقابه إلا توبتي ورحمته <sup>3</sup>..

لقد كان في هيبا ضميرا حيا يأنبه على ارتكاب المعاصي والفواحش فنلتمس فيه روح الخير وطيبة النفس.

### 3. الصراع مع نوازغ الجسد وطموح الروح:

يضطر هيبا إلى مواجهة كمون الإعصار في نفسه بين نداء يدعو لقتل غريزة الحب لأنها شهوة محرمة، ونداء آخر مخالف يندفع من مشاعره ونوازغ جسده، فيدخل في صراع بين رغبة الجسد المنادية للملذات والشهوات، وصوت آخر مخالف يخرج من مشاعره

<sup>1</sup> يوسف زيدان، عزازيل، ص 150.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص 151.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ص 121.

وأحاسيسه، فيستعسر عليه الأمر أيسم إلى رغبة جسده أم يستطع مع مشاعره وأحاسيسه، فيكون " هيبا " كالأسير الذي يود أن يتخلص من قيوده وفك رباطه فيجد نفسه محاصرا برغبة جسده ومكبل بشهوات أوكتافيا التي يلتمس معها لذة الجنس وشهوة النفس يقول " لن أسمع أبدا بأن تسلخي من إسمي ومن لغتي، أرملة اسكندرية عرفت قبل يومين، مهما كانت جميلة ومتوقدة بالرغبة الوثنية الجامحة ... لن أسمح لأوكتافيا أن تجرني " <sup>1</sup>.

تتراكم الرؤى وتتطاحن الأفكار في نفس هيبا بين المتعة والخطيئة وبين نبرة الضمير وصوته يقول هيبا سألت نفسي ماذا سأفعل بهذه المرأة البيضاء التي تنام الآن على صدري، ويخبلني، بل يخبلني فخذها العريان؟ هل أتخلى عما أنتويته طيلة السنوات الماضية، لأبقى في سريرها بقية عمري " <sup>2</sup>.

نلاحظ أن هيبا كان يضعف أمام غوايات أوكتافيا ورغبة الجسد وشهواته المحرمة فيجد نفسه تخطئ جوهر القداسة التي يمتاز بها راهب الكنيسة يقول " تصنعت الجدية، عساها تستجيب لمطلبي، فجرفنتي بروحها المرححة ولم أجد معها سبيلا إلا الاستسلام لجذبها نحو السرير " <sup>3</sup>.

إن الصراع الذي عاشه هيبا بين نوازع الجسد وعواصف الأحاسيس جعله يفكر بأن يكشف عن سره التقليل الذي سيعكس مساره ويرجعه إلى نقطة البداية.

فالرغم من الاحتضان المازن والعطف الوافر الذي قدمته أوكتافيا إلى هيبا إلا أنه لم يستطع المحافظة على كتمان سره، فيروح ضحيت لأحاسيسه وغيرته على دينه وعتقاداته المسيحية، التي تدفع به إلى البوح بسر رهبته التي شهد معها جنته الموعودة

<sup>1</sup> يوسف زيدان، عزازيل ، ص 127

<sup>2</sup> - المصدر نفسه ، ص 118

<sup>3</sup> - المصدر نفسه ص 142

والليالي الثلاثة التي أمضاها معها يقول هيا " أمضيت مع أوكتافيا فوق سطح المنزل ثلاث ليال سويا فلم يشعر بنا احد " <sup>1</sup> .

يدخل هيبا و أوكتافيا في حديث يسوقهما إلى التحدث عن مقتل زوج أوكتافيا الذي قتل على يد المسيحيين ورجال الكنيسة وراحت تصرف في الحديث عن كتب التوراة وتسخر من عقائد المسيحيين وكان هيبا يستاء من طعناتها المتكررة التي توجهها أوكتافيا إلى أهل الديانة المسيحية، وما يثير غضب هيبا حينما تتهم أوكتافيا بأن رهبان الكنيسة هم من قتلوا زوجها، فيفقد السيطرة على نفسه ويخبرها بأنه راهب مسيحي وسط ذهول أوكتافيا وختنقت عيناها بحزن عظيم مما يدفعها إلى طرد هيبا من جنتها وهي تقول له أخرج من بيتي يا حقير،<sup>2</sup> فتطرده بقسوة من جنتها فيخرج هيبا من هذه التجربة كخروج ادم من الجنة.

ثالثا: المرأة العقل " هيبانيا "

### 1-الحدث " مع هيباتيا " :

تبدأ مرحلة التعرف على هيباتيا من طرف هيبا، منذ أن كان في جنة أوكتافيا التي حدثته عنها وأخبرته أنها امرأة مشهورة جميلة وذكية متمكنة من علوم الرياضيات والفلسفة وغيرها من العلوم الأخرى، مما جعل الناس ينادونها بأستاذة الزمان، وهي تلقي محاضرات في الرياضيات والفلسفة، فيشوق هيبا بمعرفة هيباتيا التي تكن لها أوكتافيا كل التقدير والإحترام يقول هيبا " أخبرتني يومها بأشياء كثيرة عن هيباتنا الموصوفة بأستاذة الزمان... وقد حكى لي عنها مستمتعة بالحكي، ومهيجة أشواقى برؤيتها، قالت إنها تلقي دروسها بالمسرح الذي بقلب المدينة، أبوها ثيون كان يلقي دروسه في المعبد الكبير السيرابيون الذي كان يقف شامخا عند الحي المصري " <sup>3</sup> ، فبعد أن طرد هيبا من جنة أوكتافيا يقرر أن

<sup>1</sup> المصدر نفسه، ص 108

<sup>2</sup> يوسف زيدان، عزازيل ، ص 154.

<sup>3</sup> المصدر نفسه ، ص 140-141.

يحضر محاضرات هيباتيا ويتعرف عليها، فينبهر هيبا بجمال هيباتيا الروحي والجسدي يقول " هيباتيا امرأة وقورة وجميلة، بل هي جميلة جدا أو لعلها أجمل امرأة في الكون، كان عمرها في حدود الأربعين، وكان أنفها جميلا جدا وفمها وصوتها وشعرها، وعيناها ... كل ما فيها، كان أبهى من كل ما فيها ... كانت لهيباتيا تلك الهيئة التي تخيلتها دوما ليسوع المسيح، جامعة بين الرقة والجلال ... وعينيها زرقة خفيفة ورمادية وفيه شفافة في جبهتها إتساع ونور سماوي وفي ثوبها اللفهاف ووقفها، وقار يماثل ما يخف بالآلهة من بهاء "1.

فكان هيبا ينظر إلى هيباتيا بنظرات لاهفة تملأها الإعجاب والدهشة، وكان كل التركيز والسماع لما تقوله وتقوم به هيباتيا من شروحات وتفسيرات حول المحاضرة التي تلقاها. هذا الإعجاب الكبير من قبل هيبا سيدفعه إلى محاولة التقرب من هيباتيا والتحدث معها، راجيا أن يكسب احترامها وإعجابها يقول " لا أعرف كيف أتتني الجرأة، فاقتربت من هيباتيا غير متهيّب منها، ومن دون أن تسألني، أخبرتها أنني أتيت من الإسكندرية لدراسة الطب، وأني أنوي البقاء في المدينة خمس سنين حتى أنهل من معارفها، ثم أعود لأعالج المرض في بلادي الأولى أضفت في غمرة إندفاعي أنني في مدة إقامتي في المدينة سأحرص على حضور كل جلساتها العلمية حتى الرياضية منها، لم يفارقها الابتسام ولا الاهتمام بما أقول"2.

يندهش هيبا من هيباتيا وما تحمله من العلم والمعرفة والطيبة والجمال، ويقرر متابعة دروسها يقول " فقررت في نفسي شيئا لم أفعله قط، سأدرس الرياضيات مع الطب ومع اللاهوت، سوف أطلب مبادئ الهندسة والحساب أولا، ثم أتخصص فيهما وأبرز"3، فهيبا يود أن يدخل عالم هيباتيا لأنه يوجد فيه العقل والاحترام والمشاركة والنقاش يحضر فيه الجمال والحلويات والأكل واللباس الفاخر أيضا كل شي فيه جميل عكس عالم الكنيسة الذي

<sup>1</sup> يوسف زيدان، عزازيل، ص 169.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص 173-174.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ص 173.

يسود فيه الظلام والوحشة والتعاسة، فيجد نفسه تميل إلى عالم هيباتيا، غير أن الرياح ستمشي في اتجاه معاكس، حيث سيلتقي في سياق تيهه بمجموعة من الزملاء والرهبان مثله وسيقودونه للكنيسة التي هو مرسل إليها وهناك سيكتشف أن حضوره لهيباتيا سيجلب له أبشع المتاعب، وتبقى علاقته مع هيباتيا خيالية، كحلم عابر، ويرجع إلى صومعته الضيقة، مسيح بالعقائد المحرمة والممنوعة التي تفرضها الكنيسة.

## 2- هيباتيا: العقل والفلسفة:

لقد مثلت هيباتيا في هذه الرواية صوت العقل والفلسفة، ومثلت أيضا صوت الإيمان الذي تمثله الكنيسة، فمزجت بذلك بين المعرفة والحس، فالفلسفة تراهن على العقل الإنساني في معرفة نظام الكون، وفي المقابل يكون الإيمان شعور داخلي مرتبط بعقيدة الإنسان وما يميز هيباتيا أنها دمجت بين المعرفة العقلية والروحية، حيث تقول " والفهم أيها الأحبة وإن كان فعلا عقليا، إلا أنه فعل روحي أيضا فالحقائق التي نصل إليها بالمنطق والرياضيات إن لم نستشعرها بأرواحنا، فسوف تظل حقائق باردة، أو نظل نحن قاصرين على إدراك روعة إدراكنا لها ... " <sup>1</sup>.

فهيباتيا امرأة جمعت بين العقل الرشيد والفكر السديد بالإضافة إلى القوة الشخصية التي كانت تفرض احترامها على الجميع يقول هيبا " دخلت هيباتيا الصالة الفسيحة، فوقف لها الجميع بمن فيهم الرجال " <sup>2</sup>.

فكانت هيباتيا رمزا من رموز العلم والمعرفة تتقن اللغة اليونانية بامتياز، كما كانت لها طريقة متميزة في إيصال الفكرة إلى الجمهور، نجد هيبا يقول " كانت تشرح لنا بلغة يونانية راقية، كيف يمكن للعقل الإنساني أن يستشف النظام الكامن في الكون، وأن يصل بالفهم إلى معرفة جوهر الأشياء، وبالتالي يميز أعراضها وصفاتها المتغيرة ... كان يجري على لسانها عبارات

<sup>1</sup> يوسف زيدان، عزازيل، ص 171-172.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص 168.

من مبادئ الفلسفة عبارات طالما سمعتها من غيرها، لكنها نطقت بها وكأنها تفتح عقلي وتدسها فيه " <sup>1</sup>.

هيباتيا هي شخصية وثنية غير أنها ذات كم معرفي هائل منفتح تمثل صورة المرأة المثقفة والمتحررة من كل قيود المجتمع والكنيسة، وتخرج بذلك من سجن الكنيسة وتكسر الطابوهات التي تفرضها الكنيسة. مما جعل كيرلس وأتباعه ينظرون إلى هيباتيا بعين الحقد والحسد، وراحوا يزعمون أنها تجلب العبيء والعار للكنيسة، مما جعلهم يقفون ضد كل من يقف في صفها أو يحضر محاضراتها أو حتى التقرب إليها يقول هيبا: " لما أخبرته يوم السبت بنيتي الخروج غدا للذهاب لمحاضرات هيباتيا صاح فيّ، يا أخي هذا لا يجوز أبدا ... وأخبرني فزعا بأن هذا الفعل لو اقتترف فهو مما لا يغتفر ! ونصحتني ألا أذكر اسمها مرة ثانية " <sup>2</sup>.

فكانت هيباتيا تمثل لكيرلس وأتباعه العتبة التي يجب إزالتها من الطريق، فهي تحمي الوثنيين وتحمل لواء الكفاح ضد المسيحيين وسلاحها في ذلك العلم، فشكلت لهم بذلك استظهار العار لجهلهم وجبروتهم، حيث كان التفاف جمهور المثقفين حول هيباتيا التي عرفت بالفيلسوفة الأفلاطونية المحدثة يسبب جرحا بالغا للكنيسة المسيحية وراعيها الذين كانوا يدركون جيدا مدى الخطورة التي يمكن أن تمثلها هيباتيا على جماعة المسيحيين في المدينة خاصة أن أعداد سامعيها يزداد يوما بعد يوم، واشتهرت بمجالستها لكبار العلماء، وهي تقدر العلم والفلسفة حتى أفنت حياتها في طلب العلم وحصد ثماره فهي اشتغلت بالعلم على يد أبيها الرياضي الشهير ثيون " <sup>3</sup>.

<sup>1</sup> المصدر نفسه، ص 171.

<sup>2</sup> يوسف زيدان، عزازيل، ص 178.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ص 169.

لقد كان رجال الدين المسيح يتبعون خطواتها ويكون عبادا في محاربة علمها فهذه الشخصية تعكس موقف راق ومتحضر للمرأة الوثنية، مما دفع أتباع الكنيسة وقادتها يقفون موقف معارض من هته المرأة ويتهمونها بأشياء كثيرة يقولون أنها تشتغل بالسحر، وتصنع الآلات الفلكية لأهل التنجيم والمشعوذين ... قالوا أشياء كثيرة " <sup>1</sup> بغرض تشويه صورتها والمحافظة على سلطتهم الفاسدة.

### 3- الصراع والانتقام الذكوري:

كانت هيباتيا (الوثنية) تمثل مصدر قلق للأسقف كيرلس ولجميع المسيحيين الذين كانوا موجودين في الإسكندرية، فكانوا يمهدون لمكيدة تخلصهم من هذه الوثنية فحاولوا أن يتربصوا بكل معالم الوثنية والقضاء عليها فنتعالي الأصوات والهتافات المرعبة، بسم الإله الحي سنهدم بيت الأوثان، ونبني بيتا جديدا للرب ... بعون السماء سوف نظهر أرض الرب من أعوان الشيطان ... بسم الإله الحي سنهدم بيت الأوثان <sup>2</sup>.

ولعل ما زاد من توتر الصراع نجاح المسيحيين من طرد اليهود الذين كانوا موجودين في المدينة، فأعلنوا رفع الصيف على كل من يعلوا صوته فوق صوت الكنيسة، ونجد كيرلس يقول " ولقد طهرناها من اليهود، المطرودين، أعاننا الرب على طردهم، وتطهير مدينته منهم، ولكن أذبال الوثنيين الأنجاس، ما زالت تثير غبار الفتن في ديارنا، إنهم يعيثون حولنا فسادا وهرطقة، يخوضون في أسرار كنيستنا مستهزئين، ويسخرون مما لا يعرفون، ويلعبون في مواطن الجد ليشوهوا إيمانكم القويم " <sup>3</sup>.

يحرص كيرلس الناس والرهبان الذين هم جيوش الكنيسة على هيباتيا التي صارت تشكل لهم خطرا داخل المدينة، وتزرع لهم الأوضاع داخل أسوار الكنيسة فتستجيب هذه

<sup>1</sup> المصدر نفسه ، ص 188.

<sup>2</sup> يوسف زيدان، عزازيل ، ص 190.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ص 189.

الحشود من الناس لنداء كيرلس وتفرقوا في الطرقات مع طول الجولان في أنحاء المدينة، صاروا عشرات موزعة في الشوارع، وساروا يرددون الهتافات ذاتها " <sup>1</sup>. فالمسيحيون كانوا متجبرون وطاغون في الإسكندرية لا يرحمون من يقف ضدهم أو من كان عدوا لهم، ولسوء حظ هيباتيا ستذهب ضحية لظلمات المسيحيين وجبروتهم.

لم تكن هيباتيا تعلم على ما هي مقبلة عليه، حتى تتفاجئ بالحشد العظيم الذي هو مقبل عليها، وصيحات بطرس التي كانت تزعزع المدينة، فتندش من هذا المظهر ويتملكها الخوف والفرع وسط حيرة ورعب فلا تجد سبيلا غير الصراخ، وللأسف لا أحد يستمع لصراخها فيسحبها بطرس من شعرها إلى وسط الشاعر وحوله أتباعه من جند الرب يهللون، حاولت هيباتيا أن تقوم، فرفسها أحدهم في جنبها، فتكومت ولم تقوى على الصراخ، أعادها بطرس إلى تمددها على الأرض، بجذبة قوية من يده الممسكة بشعرها الطويل، الجذبة القوية انتزعت خصلات من شعرها، فرماها " <sup>2</sup>.

تلوا صيحات هيباتيا طالبة النجدة أو مد يد المساعدة تخلصها من أيدي المسيحيين المتوحشين، فلا يستجيب أحد لندائها، حتى هيبا يقف يتفرج دون أن يحرك ساكن غير أن صديقتها أوكتافيا تحاول أن تحميها وتتقضاها، فتلقي حتفها على يد الظلمة المسيحيين، يقول هيبا "أقبلت المرأة تجري نحو الجميع، حتى ارتمت فوق هيباتيا، ظانة أنها بذلك سوف تحميها، فكان ما كان متوقعا أندست فيها الأذرع، فرفعتها عن هيباتيا، وألقته بقوة إلى جانب الطريق " <sup>3</sup>.

فبعدها تخلصوا من أوكتافيا وصارت جثة هامة اتجهوا جميعا نحو فريستهم هيباتيا وراحوا يفترسونها كما تفترس الأسود فريستها، انهالت الأيدي على ثوب هيباتيا فمزقته...

<sup>1</sup> المصدر نفسه، ص 192.

<sup>2</sup> يوسف زيدان، عزازيل، ص 195.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ص 196.

الرداء الحريري تنازعه حتى انتزعوه من جسمها، ومن بعده انتزعوا ما تحته من ملابس كانت تحيط بجسمها بإحكام، كانوا يتلذذون بنهش القطع الداخلية ويصرخون<sup>1</sup>. فعذبوها عذابا شديدا دون شفقة أو رحمة فجرروها بحبل خشن بين الصخور لينتزع جلدتها عن لحمها، ثم ألقوا بها في النار وحرقوها فحرق معها العلم والعقل والجمال وتعالى هتافات المسيحيين بنشوة الانتصار والابتهاج باستعلاء الديانة واستيلاءها التام على المدينة<sup>2</sup>

فالكنييسة لا تحمل العدا ليهياتيا فقط وإنما للعالم بأسره، ولكنها تخفي هذا الصراع الديني مع العالم.

تكون نهاية هياتيا نهاية مأساوية للغاية، وبالرغم من تعاطف هيا معها إلا أنه لم يتمكن من إنقاذها أو حمايتها، فنجد هيا مفزوعا لما حدث لهياتيا الذي كان يود لو أنه يستطيع أن يخلصها من أيدي المتسلطين المسيحيين غير أن همجية المسيحيين وجبارتهم لم تسمح له أن يساعدها يقول " لما اوشكت أصابع هياتيا أن تعلق بيدي الممدودة إليها، امتدت يد نهشت كُم ثوبها، فتطوحت كفها بعيدا عني، وتمزق الثوب في اليد النهاشة، فرفعه الناهش ولوح به"<sup>3</sup>.

فيكتفي هيا بالنظر إلى هياتيا وهي تقتل وتحرق، ويصطدم بالحقيقة التي تخفيها الكنييسة عن العالم، فبعد أن ضن أن الحكمة والمعرفة تكون موجودتان في الدين يظهر العكس عند أهل المسيحية الذين يتسترون وراء الدين ويخفون أمورا كثيرة، وبذلك يدخل الشك في مخيلته حول العقيدة وأصل المسيحية، وتأخذ الحصرة والشفقة على هياتيا.

<sup>1</sup> المصدر نفسه، ص 197.

<sup>2</sup> يوسف زيدان، عزازيل، ص 200.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ص 495.

نلاحظ أن هيبيا و هيباتيا إسمان مشتقان من نفس الحروف تقريبا مع إختلاف ما بين المذكر والمؤنث، ولا شك أن لهما رمزية خاصة إنطلاقا من اللغة، هيبيا ربما يعني العقل وقد تعني هيباتيا الحكمة والمعرفة.

ثالثا: مرتا " الحب والزواج " / " الرهينة":

### 1. الحدث مع مرتا:

مرتا؛ فتاة جميلة وفاتنة منشدة للترانيم في الكنائس تأتي مع خالتها إلى الدير الذي يسكن فيه هيبيا وهناك يتعرف عليها هيبيا ويعشقها، ويدربها على الإنشاد، تتشأ بين مرتا المغنية والراهب هيبيا علاقة و سرعان ما تتطور إلى عشق يقول هيبيا يوم رأيت مرتا أول مرة استبد بي الأرق المقيم، فبقيت مستيقضا حتى الفجر، في البدء لم أفكر كثيرا في كونها الفتاة، غير العذراء ! كان صوتها الشجي هو الذي يشغلي رنينه بداخلي، أمضيت ليلتي أعيد صياغة بعض الكلمات حتى تتوافق مع طبقات صورتها، وأجتهد في وضع ترانيم مخصوصة تناسب دفء صوتها وشجوة، تقاذفتني في جوف الليل أفكار كثيرة " <sup>1</sup>.

فكانت مرتا تملك صوت جوهري سحرت به هيبيا وفتنته بجمالها وتدفعه إلى الوقوع في الخطيئة مرة أخرى يقول هيبيا " وحين رفعت الستر الحريري المنسدل على وجهها نظرت نحوها نظرة حذرة، فوجدت على وجنتيها ابتسامة مشرقة تطل باستحياء مثل الشمس الصافية أيام الشتاء الباردة، أو مثل النسومات اللطيفة في ليالات الصيف الخانقة " <sup>2</sup>، ويقول أيضا لمست من دون قصد أو بقصد، ظاهر يدي اليمنى، لحظتها شعرت بقشعريرة تسري في ذراعي، وظللت أشهر بها لأيام تالية ... فمرتا آية من آيات الجمال الإلهي في الكون في

<sup>1</sup> يوسف زيدان، عزازيل ، ص 344.

<sup>2</sup> المصدر نفسه ، ص 349.

وجها طفولية ونزق، وفيه بهاء صورة العذراء غير أن نظرتها جريئة جدا ومربكة لمن هو مثلي<sup>1</sup>.

يتقرب هيبا من مرتا ويعرف أن الأيام ظلمتها، وأنها عانت مشقات الحياة وصعوبة الظروف، فتحكي له مرتا المعاناة التي عاشتها منذ صغرها، أبوها كان حدادا ببلدة دمشق، مشهورا لانتقانه صنع السيوف الفاخرة إرتحل أبوها فلم يقبله الحلبيون، وظل أعواما يسعى لدخول الديانة ويجتهد في الإلتحاق بالأبرشية ولكن كانوا يرفضونه لأن أمها كانت وثنية متدينة، ولدت في سرمدة، توفي أبوها في بداية الأربعين من عمره مات مقتولا<sup>2</sup>.

كانت في التاسعة من عمرها لما قتل أبوها، بعد وفاته زوجته أمها برجل يبلغ من العمر خمسون سنة، الذي ذقت معه تعاسة الحياة ومرارتها، فكان يسيء معاملتها ويحط من شأنها، فتعيش معه أعوام عجاف يعاملها معاملة السيد لعبده تقول مرتا كانت شفقاته الغليظتان تنفجران بارتياح وبلاهة، حين أسرع إليه بإناء الماء لأغسل قدميه المؤطرتين من أسفلهما بقشف قاس ... صار يأمرني أن أغلق الباب الخارجي وأعود بجلستي ويظل يعبث بأصابع قدمه اليمنى في نهدي، حتى يأخذه النوم، وبعد أسابيع من عبثه المقيت بصدري، جاء يوم أمرني فيه بأن أتجرد من ملابسي وأعود للجلوس تحت قدميه كان يحدث بإحدى قدميه في ثنايا جسمي العاري<sup>3</sup>.

ينفذ صبر مرتا وتهرب منه لأنها أصبحت لا تطيق تصرفاته السيئة للغاية، ثم يطلقها بحجة أنها لا تتجب الأولاد ويطردها من منزلها، لتنتقل إلى حلب للعيش مع خالتها، وهناك تتعلم الغناء حتى احترفت فيه وأصبحت تغني في أمسيات وسهرات ليلية، فصارت مطمعا للكثير من الرجال الذين بدؤوا يحومون حولها، ما يدفعها هي وخالتها العجوز إلى الإلتجاء

<sup>1</sup> المصدر نفسه، ص 350-354.

<sup>2</sup> يوسف زيدان، عزازيل، ص 391.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ص 395.

إلى الدير الذي يقيم فيه هييا وتتضم إلى فرقة الغناء التي يفترض أن تتشد أيام الآحاد في الصلوات داخل الكنيسة.

## 2. مرتا، الشباب - الحب - الزواج:

تكون مرتا في هذه الرواية عنوان للشباب والحب، فهي فتاة جميلة ومفعمة بالشباب فهي في حدود العشرين من عمرها، وقد كانت مرتا على قدر من الجمال والبهاء على حد قول هييا، رفعت غطاء رأسها، فانهمر شلال شعرها الأسود الكثيف الناعم، كان شعرها معتقلا تحت غطاء الرأس، يتوق للتحرر، فلما أحاط بوجهها صارت آية للإبداع الإلهي في خلق الإنسان ... أي جمال ذلك الذي كان مختفيا تحت حجابها، وأية نظرة تلك التي رأيتها بعينيها، لسعتني نظرتها، وروّعتني جمالها، حتى كاد يغمى علي من جلال الجمال<sup>1</sup>، كانت مرتا جريئة لتعبر عن حبها لهييا الذي عجز أن يعبر لها عن حبه، فتعترف له بحبها وتعبر عن مشاعرها التي عجز هييا أن يفهمها، يدخل هييا ومرتا في علاقة حب فتطلب منه مرتا الزواج وبناء أسرة والذهاب للعيش في بلدته التي كان يعيش فيها قبل أن يلتحق بالدير، تقول مرتا لهييا " تعال لنعمر البيت، ونعيش هناك بقية عمرنا معا ونأخذ خالتي معنا، فتعنتني بأطفالنا، وأفرغ أنا للعناية بك"<sup>2</sup>.

تفتح مرتا لهييا جرحه القديم الذي لم يشفى منه رغم طول السنين، وتذكره بأطفال بلدته الذين كانوا يسخرون منه بما فعلته أمه بأبيه، فيسترجع ماضيه المؤلم والتعيس، يراوغ مرتا ويطلب منها أن يوجلا الحديث في هذا الموضوع، لكي لا يحكي لمرتا عن ماضيه الذي لا تعرف عنه سوى القليل.

<sup>1</sup> يوسف زيدان، عزازيل، ص 355.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص 402.

## 3. الصراع بين مؤسسة الكنيسة (الرهبة) ومؤسسة الزواج (الأسرة):

تصر مرتا على هيبا بالزواج فيجد نفسه محاصرا بتعاليم الكنيسة، التي تمنع الراهب من الزواج وتأسيس أسرة، فالرهبة في نظر الكنيسة هي موت عن كل لذات الحياة فالراهب لا يتزوج ولا يعيش حياة طبيعية، حتى في النوم ينام الرهبان جالسين نظرا لضيق المكان، ويقفون بأقل شيء ممكن ويلبسون ثيابا رثة في أغلب الأحيان كل هذا إمعانا في تعذيب الجسد وتهذيبه، فيكون الزواج لراهب أشبه بالمعصية والخطيئة، فيزعمون أن تعذيب الروح والجسد امتحان لراهب في صبره وجهاده، فيقدم حياته لإرضاء الله حيث نجد هيبا يقول " وكيف لي أن أتزوج بعدما أمضيت حياتي كلها راهبا ؟ عشرون عاما قضيتها في الرهبة سأقدمها مهرا لفتاة في العشرين من عمرها " <sup>1</sup>.

إن هيبا برغم من حبه الشديد إلى مرتا إلا أنه لم يستطع أن يتخلى عن الرهبة، مقابل الزواج بمرتا المتعطرة بروح الشباب والحب، ويظل متمسك بمؤسسة الكنيسة ويتجنب مخالفة قوانينها الظالمة لحياة البشرية، ويعتبر هيبا زواجه من مرتا محذور في ديانة المسيح، ففي إنجيل متى الرسول، مكتوب من يتزوج مطلقة فهو يزني " <sup>2</sup>.

تكون العدالة هي الغائب الأبرز في مؤسسة الكنيسة والتي تبني أسسها على الظلم والتهميش مما يذهب في ضحيتها هيبا الذي يضع فرصة الزواج من مرتا والعيش معها في طمأنينة وسلام، ويختار لنفسه حياة الشقاء والتعاسة مما يدفع مرتا للرحيل وتركه في صومعته الضيقة يصارع المرض ويتخبط في مناماته.

يجعل يوسف زيدان في هذه الرواية نهاية مفتوحة، ولعل بداية النهاية تكون انطلاقا من مرض هيبا بنوبات الحمى التي تطيحه الفراش عشرون يوما يكاد أن يهلك فيها، وأثناء

<sup>1</sup> يوسف زيدان، عزازيل، ص 417-418.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص 419.

مرضه لا يفارقه إسم مرتا نجد عزازيل يقول له " ولكنك كنت تتادي كثيرا باسم هذه المرأة مرتا " <sup>1</sup>.

فيكتشف سر أمره رئيس الدير ورجال الكنيسة وبعد معاناة كبيرة مع المرض يتمثل بالشفاء ويعرف الكثير من الأحداث التي جرت طيلة عشرين يوما التي مرض فيها ومن بين هذه الأحداث رحيل مرتا التي تركته يعاني المرض ورحلت يقول " تركتني لموتي، وذهبت لتبحث لها عن حياة، هذا شأن النساء، كلهن كما أكد الفريسي خائئات "، ولا فلاة لهن، هو أعرف مني بأحوالهن، الآن تيفنت من أنني ضللت نفسي بأوهام صنعتها <sup>2</sup> ويعرف هيبا أن مرتا انتقلت مع خالتها إلى حلب لتغني هناك، فيتحسر على فقدانها ويستاء لفراقها يقول هيبا " مرتا التي راحت فظننتها أراحت، ثم عرفت بعد رحيلها لوعة القلق وعصف الاشتياق ليأتي منعته من الذهاب لحلب وأعفيتهما من خطر الغناء الليلي وسط سكارى التجار وأردال العرب، وأعقت نفسي هما أعانيه الآن " <sup>3</sup>.

تترك مرتا هيبا يعاني جمرة الفراق وحرقة الإشتياق، مما يجعله يستجد بعزازيل ليفك وحشته ويخفف من أحزانه، فيحفزه عزازيل إلى تدوين كل ذلك الوجع الذي يعتل صدره، فالكتابة لسان الإنسان وقد تفعل في الإنسان ما لا تفعله الأدوية. يقرر هيبا كتابة الأحداث التي جرت معه ويدونها في ثلاثون رقا، ويعزم على الرحيل بعد الإنتهاء من هذه المهمة.

تكون العلاقة سردية متفاعلة بين رقوق هذه الرواية وبين الأحداث والشخصيات التي يكون هيبا هو المحرك الرئيسي فيها ليدفع بالسرد إلى الأمام، مما يعطي للرواية حبكة فنية متماسكة.

<sup>1</sup> المصدر نفسه، ص 448.

<sup>2</sup> يوسف زيدان، عزازيل، ص 444.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ص 63.

جاءتني  
مكتوبة

## خاتمة:

بعد هذه الرحلة العلمية التي تناولنا فيها صراع الذكورة والانوثة في رواية عزازيل جاءت هذه الخاتمة ،التي ليست صياغة نهائية لهذا البحث ،وانما هي محاولة للإبراز بعض النتائج التي توصلنا اليها في خوضنا في هذا الموضوع والتي يمكن تلخيصها في الاتي:

### في الجانب النظري :

- إن ثنائية الذكورة والانوثة تشكلت من خلال قواعد وخلفيات تاريخية ودينية وأخرى اجتماعية.
- إن ظهور الرواية في البيئة العربية مهد الطريق للمرأة في خوض تجربة الكتابة.
- دخول المرأة لعالم الكتابة، كان بغرض الانعتاق من أحوال المجتمع وكسر حواجز الصمت المتعلق بالذات، ومن هنا ترسم معالم رؤية الآخر ويتضح بواطن المسكوت عنه.
- الرواية النسوية مرآة عاكسة لأفكار المرأة التحريرية المناهضة لقضية الهيمنة الذكورية، كمحاولة لتغيير هذا الواقع الذي قصر في حقها.
- هناك عقدة ذكورية عربية هي التي تأجج الصراع بين الذكورة والانوثة بالنظر إلى طبيعة البيئة العربية المحافظة.
- تجلت ظاهرة صراع الذكورة والانوثة في الرواية العربية، في عدد من الاعمال الروائية منها : موسم الهجرة الى الشمال طيب الصالح، الحي اللاتيني لسهيل ادريس، عصفور من الشرق توفيق الحكيم.

## أما فيما يخص الجانب التطبيقي:

- رواية عزازيل غنية بصراعات نجد فيها صراع نفسي داخلي وصراع ديني عقائدي وصراع بين الخير والشر وصراع بين الذكورة والأنوثة.
- نجد في هذه الرواية أن الشخصيات الأنثوية دائما تكون نهايتها القتل أو الهروب.
- يكون الفشل دائما عنوان البطل " هيبا " في علاقته مع الفتيات لكونه راهب والراهب، محاصر بتعاليم الكنيسة التي تمنع الراهب من التقرب من النساء ويمنع عليه حتى الزواج وتأسيس أسرة.
- المرأة في هذه الرواية لا يحميها لا علمها ولا جرأتها ولا جمالها، فتذهب ضحية لعالم يسوده الظلم والجهل لا يقدر من شأن المرأة مهما بلغت من العلم والمعرفة.
- يكون القتل أو النفي جزءا كل من يقف ضد الكنيسة التي لا تقبل أي صوت يعلو فوق صوتها ولو كان بالحق، فهي بدورها تخفي صراع مع العالم.
- قدم لنا الروائي شخصياته بأسلوب قريب من الواقع أقنعنا بوجودها حقا فعشنا معها آلامها وأفراحها وكأننا جزء منها.
- المتعة الفنية موجودة في الرواية حققتها الصراعات التي بنيت على أساسها أحداث الرواية.

كانت هذه أهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال دراستنا " لصراع الذكورة والأنوثة في الرواية العربية رواية " عزازيل أنموذجا"، ونأمل أن نكون قد وفقنا فيها ولو بالشيء اليسير وشكرا.

المعلم القوي

## ملحق رقم 01: السيرة الذاتية

### يوسف زيدان حياته وأهم أعماله:

يوسف زيدان أحمد زيدان أستاذ جامعي كاتب وفيلسوف مصري مختص في التراث العربي المخطوط وعلومه، له عدة مؤلفات وأبحاث علمية في الفكر الإسلامي والتصوف وتاريخ الطب العربي، وله إسهام أدبي في أعمال روائية منشورة، وله مقالات دورية وغير دورية في عدد من الصحف العربية، عمل مديرا لمركز المخطوطات بالاسكندرية في مكتبة الاسكندرية.

### النشأة والتعليم:

ولد يوسف زيدان يوم 30 يونيو 1958 في مدينة سوهاج، مركز ساقلية بقرية العوامية نجع الساقية بصعيد مصر وانتقل إلى الإسكندرية مع جده وهو طفل صغير ودرس في مدارسها، التحق بقسم الفلسفة في كلية الآداب في جامعة الاسكندرية حصل على شهادات علمية:

- ✓ شهادة ليسانس في الفلسفة من كلية الآداب جامعة الإسكندرية، عام 1980.
- ✓ حصل على درجة الماجستير في الفلسفة الإسلامية برسالته عن الفكر الصوفي عند عبد الكريم الجيلي، دراسة وتحقيق لقصيدة النادرات العبثة للجيلي مع شرح النابلسي.
- ✓ حصل على درجة الدكتور في الفلسفة الإسلامية برسالته عن الطريقة القادرية فكرا ومنهجيا وسلوكا، دراسة وتحقيق لديوان عبد القادر الجيلاني عام 1989.
- ✓ حصل على درجة الأستاذية في الفلسفة وتاريخ عام 1993 ومما يذكر أن الدكتور يوسف زيدان أنشأ قسم المخطوطات في مكتبة الإسكندرية عام 1994 وعمل رئيسا له، تم فصله من وظيفته عقب نشوب خلاف بينه وبين الدكتور اسماعيل سراج الدين رئيس الإسكندرية في وقتها.

## مؤلفاته ودراساته:

كتب يوسف زيدان العديد من المؤلفات في مجالات متعددة منها ما يتصل بالتراث الإسلامي كذلك الانتاج الأدبي وتتنوع أعماله في فروع التصوف الإسلامي وتاريخ العلوم الطبية والرواية والقصة القصيرة وكذلك فهرس المخطوطات التراثية، قائمة مجمل أعماله.

- ✓ المقدمة في التصوف.
- ✓ عبد الكريم الجيلي فيلسوف الصوفية.
- ✓ الفكر الصوفي عند عبد الكريم الجيلي.
- ✓ شرح فصول أبقراط لابن النفيس.
- ✓ شعراء الصوفية المجهولين.
- ✓ ديوان عبد القادر الجيلاني، دراسة وتحقيق.
- ✓ ديوان عفيف الدين التلمساني، دراسة وتحقيق.
- ✓ قصيدة النادرات العينة للجيلي.
- ✓ الطريق الصوفي وفروع القادرية بمصر.
- ✓ عبد القادر الجيلاني باز الله الأشهب.
- ✓ رسالة الأعضاء لابن النفيس - دراسة وتحقيق.

ونذكر أيضا بعض الروايات: عزازيل، ظل الأفعى، النبطى، النور جونتامو.

## الجوائز العلمية:

تحصل يوسف زيدان على العديد من الجوائز منها:

- جائزة الفقه الطبي وتحقيق التراث وفق أصول فن التحقيق من مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية عام 1994.

- حصل على جائزة الإمام محمد ماضي أبو العزائم في مجال خدمة الإسلام عام 1995م.
- حصل على جائزة عبد الحميد سومان في مجال العلوم الاجتماعية عام 1996 م.
- حصل على شهادة تقدير خاص من الأكاديمية العلمية للتعليم عام 1996م.
- حصل على جائزة دولة الكويت في مجال التراث العلمي العربي والإسلامي من مؤسسة الكويت لتقديم العلمي العام 2005 م.
- حصل على جائزة العلمية للرواية العربية (البوكر العربية) عام 2005م عن رواية عزازيل.

كما نال العديد من شهادات التقدير من مؤسسات حكومية وغير حكومية داخل مصر

وخارجها.

## ملحق رقم 02 : ملخص الرواية:

عزازيل هي رواية تاريخية، وهي ترجمة مجموعة من اللفائف مكتوبة باللغة السريانية تدور أحداثها ما بين صعيد مصر والإسكندرية وشمال سوريا، عقب تبني الإمبراطورية الرومانية للمسيحية وما تلى ذلك من صراع مذهبي بين أبناء الكنيسة من ناحية الوثنية. من ناحية أخرى، عثر على هذه الرقوق في منطقة الخراب الأثرية حول محيط قلعة القديس سمعان العمودية قرب حلب سوريا.

تعد هذه الرواية سيرة ذاتية لراهب اسمه " هيبا " منذ خروجه من أخميم (مصر القديمة) قاصدا الإسكندرية كي يبحر في الطلب واللاهوت أي البحث عن أصول الديانة المسيحية، حيث يبدأ السارد حكايته من آخرها أي من بداية تدوينه لقصته، حيث دون في هذه الرقوق كل ما اعتلاه من أحداث في الإسكندرية وتعرضه لإغواءات " أوكتافيا " وهي امرأة وثنية إسكندرية تعمل كخادمة لتاجر صقلي يلتقي بها "هيبا" في أول غواية له فيمارس معها الشهوات المحرمة، غير أن هذه العلاقة لم تدم طويلا فحين اكتشفت "أوكتافيا" بأن "هيبا" راهب مسيحي طردته من منزلها، ثم يكمل هيبا مسيرته في البحث عن أصول الديانة بعد أن ترك مشاعر "أوكتافيا" ممزقة.

ومن هنا يزداد الصراع النفسي حول البقاء معها وترك رهبانيته أو إكمال ما جاء من أجله غير أنه في نهاية المطاف لم يستسلم لمشاعره، يتعرف "هيبا" على "هيباتيا" وهي عالمة رياضيات وثنية ويسمى هذا الرق "بشقيقة يسوع" حيث يصفها بأنها امرأة جميلة عالمة في الرياضيات طيبة نقية ومحبوبة من طرف الجميع يتعلق "هيبا" بشخصيتها خلال إقامة "هيبا" في الدير يقوم صراع بين المسيحيين والوثنيين لتكون "هيباتيا" هي الضحية المقصودة وتقتل أشبع قتلة على يد الغوغاء من المسيحيين بطلب من الأسقف كرلس تقتل "هيباتيا" أمام أعين الراهب "هيبا" وأثناء عملية اغتيالها يفاجئ الراهب "هيبا" بمقتل "أوكتافيا" أمام أعينه إثر محاولتها الدفاع عن أستاذتها "هيباتيا"، يشعر هيبا بالحسرة والندم

لموت كل من "أوكتافيا" و "هيياتيا" ومن هنا يخرج الراهب "هييا" من الإسكندرية والظلم الذي شاهده فيها، إلى فلسطين ليستقر في أورشليم بعدما اتخذ لنفسه اسم "هييا" الذي هو النصف الأول من اسم هيياتيا والذي يعني الآخر المؤيد بالملكوت وبهذا يكون قد ولد مرتين. يستذكر "هييا" موت والده وزواج أمه من قاتل أبيه الوثني، ويستجد الكره في قلبه لأمه، يلتقي "هييا" بالقس نسطور، الذي هو رجل طيب يتبع أسقف "أنطاليا" "تيردوف" يتعرف عليه "هييا" ليصبح مقرب منه ويحكي له ما جرى بالإسكندرية، يسافر نسطور إلى "أنطاكيا" ويبعث "هييا" لدير هادئ (الدير السماوي) بالقرب من أنطاكيا فقد كان هذا الدير هادئ وديعا حيث يقول الراهب كانت أيامي الأولى في الدير هادئة أمضيت أوقاتي في القراءة والعبادة فسكنت روعي، يتعلم الراهب "هييا" في هذا الدير التسامح من فتى يدعى الشماس، يعمل الراهب "هييا" في ذلك الدير كطبيب، يتعرف الراهب "هييا" في الدير على رجل اسمه "فرسي الأقتوم" الذي يعني اسمه المتشدد في ظاهرة الديانة، أما الأقتوم فتعني الكيان الذاتي، فقد كان هذا الفارسي متيقن ومتأكد بأن سبب وقوع الإنسان في الخطأ هو المرأة، خلال فترة مكوثه بالدير ومعالجته للمرضى، يتلقى الراهب "هييا" رسالة من "نسطور" فيسافر إلى أنطاكيا لرؤيته بعد أن أصبح نسطور أسقف في القسطنطينية، يطلب نسطور من "هييا" التأكد من صحة الرسائل ولغتها القبطية التي بعث بها "الأسقف كرس" تحمل هذه الرسائل عنفوان من أسقف الإسكندرية واتهامات لمريم العذراء بأنها أم الإله وهذا ما أثار غضب الأسقف نسطور وهو التشكيك في الإيمان وفي مريم العذراء.

يطلب نسطور من الراهب "هييا" أن يحمل رسالته إلى أسقف الإسكندرية غير أن "هييا" بعدما حكى "نسطور" ما جرى له من معاملة "كرلس" له أثناء بقاءه في الإسكندرية أعفاه من السفر إليها وفي طريق عودة الراهب "هييا" إلى الدير يمر بسرمدة يلتقي بفتى مراوغ يعترف له بخطاياهم ومعاصيه لكشف الراهب بعد وصوله لدير أن ذلك الفتى قد تلاعب به لكونه راهبا والرهبان يخافون من اقتراف المعاصي، يقول "هييا" إن الدافع الذي دفعه

للكتابة هو عزازيل حيث يقول عزازيل ! نعم يا هيبا عزازيل الذي يأتيك منك وفيك، يا هيبا دع عند اللكامة، وأكمل ما كنت تكتبه.

كان هيبا يستحضر عزازيل الشيطان في كل مرة يقع فيها في معصية فبدعوى عزازيل لكتابة خطاياها جميعها كأنه يعترف، بعد مكوث بضعة أيام في الدير يقوم رئيس الدير بدعوة هيبا ليطلب منه التحضير للتراتيل والترانيم في الكنيسة وستكون معهم مغنية، يلتقي "هيبا" بمرتا وهي فتاة جميلة تغوي بجمالها الراهب "هيبا" في العشرينات من عمرها ستزوج برجل يكبرها بأربعين سنة، تعرضت للظلم والفقير الشديد، تتقرب من الراهب "هيبا" بعدما حكى له قصتها يشفق الراهب عليها وعلى كل ما عنته ليقع في حبها وبقيم علاقة ويسقط في عواياتها ويستسلم لشهواته المحرمة بعد مرور أيام تعترف مرتا "لهيبا" بحبها وتطلب منه الزواج منها والسفر لمصر غير أن الراهب "هيبا" يرفض ذلك لأن زواج الرهبان محضور، يصاب "هيبا" بحمى شديدة تدوم عشرون يوما خلال هذه الفترة من المرض يجرى حوار طويل بين "هيبا" و "عزازيل" أو هيبا وذاته، ليشفى من الحمى فيجد "الفرسى" أمامه فيطلعه على أمور كثيرة أهمها رحيل مرتا وتركها إياه في هذه الحال.

كما يكتشف أيضا أن الأسقف "نسطور" قد حرم من رتبة أسقفية وأنه قد تم الانقلاب عليه ورجوع "كرلس" للحكم، تتراكم الأحداث على "هيبا" ويزداد الصراع النفسي ليكتب في نهاية الرق قانون الإيمان " ويخبرنا فيه بمكان هذه الرقوق ويترك الرق مفتوحا وينهى الرواية بقرار الرحيل من الدير وأن يتحرر من مخاوف دون أن يطرح إلى أين.

المؤمنين  
الذين آمنوا  
بالحق

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم: برواية ورش

أولاً: المصادر:

1. يوسف زيدان عزازيل دار الشروق، القاهرة، مصر، ط1، 2008.

ثانياً: المراجع

المراجع باللغة العربية:

1. إبراهيم أحمد ملحم الأنثوية في الأدب النظري والتطبيق عالم الكتب الحديثة لنشر

والتوزيع بيروت ، الأردن ، ط1، 2016.

2. الأخضر السائح، سرد المرأة وفعل الكتابة، دراسة نقدية في السرد آليات البناء، دار

التنوير، الجزائر، (د،ط) 2012.

3. إمام عبد الفتاح إمام " أرسطو والمرأة " مكتبة مدلولي القاهرة مصر، ط 1،

1996.

4. بثينة شعبان، مئة عام من الرواية النسائية العربية، دار الأدب بيروت لبنان، ط1،

1999.

5. جمانة طه، المرأة العربية من منظور الدين والواقع دراسة المقارنة إتحاد الكتاب

العرب دمشق سوريا، ط4.د.ت.

6. جورج طرابيشي، شرق وغرب رجولة وأنوثة دراسة في أزمة الجنس والحضارة في

الرواية العربية دار الطباعة والنشر بيروت ط2 ، 1979 .

7. جورج طرابيشي، عقدة أوديب في الرواية العربية، دار الطليعة، بيروت، ط2،

1987.

8. حسين مناصرة، النسوية في الثقافة والإبداع، التنوير لطباعة والنشر والتوزيع

الأردن، ط1، سنة 2007 .

9. حقناوي بعلي، مدخل في نظرية النقد الثقافي المقارن، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2007.
10. خديجة الصبار، المرأة بين المينولوجيا والحدائثة إفريقيا الشرق، بيروت، لبنان د. ط، 1999.
11. سعيد بن كراد، السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها، منشورات الزمن، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، د ط، 2003.
12. سمية بيدروح، فلسفة الجسد، التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، د ط، 2010.
13. الطيب صالح، موسم الهجرة إلى الشمال، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر ودار الجنوب (تونس)، د ط، 1979.
14. عبد القادر القط، من فنون الأدب المسرحية، دار النهضة العربية، بيروت، د ط، 1978.
15. عبد الله الغدامي المرأة واللغة المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء المغرب ، ط3، د.ت.
16. عصام واصل الرواية النسوية العربية (مساءلة الأنساق وتقويض المركزية) دار كنوز - عمان ، ط1، سنة 2018 .
17. فاروق خو رشيد: في الرواية العربية عصر التجمع، دار الشروق، ط3، سنة 1998.
18. فؤاد حيدر، المرأة في الإسلام وفي الفك الغربي دار الفكر العربي بيروت لبنان ط1، 1992.
19. قاسم محمد كوفي ومحمد يوسف نصار، نظريات الفن والفتوى الموسيقية والدرامية نظرة جديدة عالم الكاتب الحديث، عمان، ط1، 2008.

20. مامية عايدة أديب تطور الأدب القصص الجزائري (1925 - 1967) ديوان المطبوعات الجامعة الجزائرية د ط. 1982.
21. مجان الرويلي وسعد البازغي، دليل النقد لأدبي المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب ط2، 2000.
22. محمد مصايف، النشر الجزائري الحديث المؤسسة الوطنية للكتاب، د ط، الجزائر، 1983 .
23. محمد يوسف سواعد المرأة في الأدبيات العربية المعاصرة (مصر نموذجا) دار زهران لنشر والتوزيع عمان الأردن، ط1، سنة 2010.
24. نزيه أبو نضال تمرد الأنثى في رواية المرأة العربية وبيلوغرافيا الرواية النسوية العربي، دار فارس، الأردن، ط 1، 2004.
25. نزيه أبو نضال الشرط الاجتماعي صورة لوعي في الرواية السنوية العربية في خصوصية الإبداع وزارة الثقافة عمان، د ط، 1997 .
26. نوال السعداوي المرأة والجنس، دار ومطابع المستقبل، الإسكندرية مصر ط 4، 1990.

#### المراجع المترجمة:

1. بيار بورديو ،الهيمنة الذكورية ،ترجمة سلمان فعنرافي ، بيروت ط1، 2009.
2. سارة جاميل ،النسوية وما بعد النسوية، ترجمة أحمد التشامي ،الجزيرة ،القاهرة ،ط1، 2002،

#### الصحف والمجلات :

1. إياد نصار، إشكالية التمرد والوعي ونظرة الآخر، صحيفة الرأي الأردنية، الملحق الثقافي الأسبوعي، 22 - 01 - 2010 .
2. عبد الله إبراهيم، الأبوية الذكورية والسرد التقصيري تحليل التجربة السردية لنجيب محفوظ مجلة فصول، العدد 65، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2004، 2005.

3. منير بدوي مفهوم الصراع مجلة دراسات مستقبل ،جامعة ريوية ،العدد الثالث  
1997.
4. هاجر حويشي تفكيك الذكورية في السرد النسوي من منظور عبد الله إبراهيم مجلة  
العلوم الإنسانية قسنطينة، الجزائر، 2017.

الفقه  
الاسلامي

فهرس المحتويات

تشكر

أ-ج

مقدمة

الفصل الأول: الصراع الجنسي في الرواية العربية

06

أولاً: مفهوم الذكورة والأنوثة

09

مركزية الذكورة وتأسيس الرواية العربية

13

ثانياً: الرواية السنوية وظاهرة التمرد الأنثوي

19

مفهوم الرواية النسوية

22

نشأة الرواية النسوية العربية

22

بدايات الرواية السنوية العربية

25

ثالثاً: أهم الأعمال التي جسدت الصراع (الذكورة والأنوثة).

25

موسم الهجرة إلى الشمال للطيب صالح

29

الحي اللاتيني: لسهيل ادريس

30

عصفور من الشرق لتوفيق الحكيم

الفصل الثاني: صراع الذكورة والأنوثة في رواية عزازيل

44-35

مدخل : الحدث وبداية الصراع

44

أولاً: أوكتافيا المرأة والجسد.

45	1. الحدث وتدشين الصراع.
48	2. تجربة الحس والرؤية الوجودية
49	3. الصراع مع نوازع الجسد وطموح الروح.
51	ثانيا: المرأة والعقل " هيباتيا "
51	1. الحدث مع هيباتيا.
53	2. هيباتيا العقل الفلسفة.
55	3. الصراع والانتقام الذكوري.
58	ثالثا: مرتا، الحب والزواج " الرهبنة "
58	1. الحدث مع مرتا.
59	2. مرتا، الزواج، الحب، الشباب.
60	3. الصراع بين مؤسسة الكنيسة (الرهبنة) مؤسسة الزواج (الأسرة)
64	خاتمة
67	الملاحق
74	قائمة المصادر والمراجع
79	فهرس المحتويات

## ملخص:

يعد موضوع الصراع الظاهرة الأبرز والأكثر انتشارا في الساحة الأدبية، إذ لا تكاد تخلو أي رواية من هذا الصراع، فاخترنا من بين هذه الصراعات صراع الذكورة والانوثة في الرواية العربية رواية عزازيل أنموذجا.

وقد تناولنا في الفصل الأول، مفهوم الذكورة والانوثة، كما تطرقنا فيه إلى مركزية الذكورة وتأسيس الرواية العربية، وعالجنا فيه أيضا الرواية النسوية وظاهرة التمرد الأنثوي طرحنا فيه مفهوم الرواية النسوية ونشأتها ودرسنا في الأخير أهم الأعمال التي جسدت صراع الذكورة والانوثة. أما الفصل الثاني فكان فصلا تطبيقيا شمل مدخل حول أشكال الصراع وثلاثة مباحث كل مبحث يعالج قضية معينة داخل الرواية، وأنهينا بحثنا بخاتمة رصدت أهم النتائج.

**الكلمات المفتاحية:** الرواية العربية، الصراع، الذكورة والانوثة، عزازيل، يوسف زيدان.

## Résumé :

Phénomène de Némésis est considéré comme étant la phénomène le plus répandu dans le contexte littéraire, aucun roman est en déliions de ce conflit de ce conflits. Larmi les conflits que nous avons choisi et celui de la masculinité et de féminité dans le roman azzazel.

Nous avons traité dans le 1<sup>er</sup> chapitre les grandes notions telles que la masculinité et la féminité ainsi que la rébellion des femmes et dans le même chapitre nous avons présenté quels étaient les travaux qu'ont incarné le Némésis de la masculinité et de féminité tandis que le 2<sup>eme</sup> chapitre, nous l'avons réservé à l pratique englobant une introduction sur les types de ce phénomène de Némésis avec trois sections, chacune d'elle traité un sujet à l'intérieur même de ce roman.

Nous avons clôturé notre travail par une conclusion qui présentera le bilan et les résultats obtenus.

**Mots clés :** Roman arabe, conflit, masculinité et féminité, Azazel, Yusuf Zidane.